١٠٥٢
دار م. النحاس
كبير
1052
HARLEQUIN

حب بعد الحريق

كاي غريغوري

www.elromancia.com
مرمورية

حب بعد الحريق

كاي غريغوري

كانت إلف تشعر أنها خالية من الهموم وجذلة، بينما كانت مسافرة على متن السفينة الفخمة مبتعدة عن رجلين سببا لها جرحاً عميقاً في قلبها. لكنها عندما شاهدت ريتشارد، احست بأنها تعرفه، وأنه شخص مألوف لديها، وكان يتصرف معها هو الآخر بنمط مألوف ايضاً. لماذا لا يلاحق ميراندا الحسناء ويترك إلف بسلام؟ لماذا؟ لأن إلف كانت قد طلبت الزواج منه منذ وقت طويل، وكان ريتشارد على وشك ان يوافق على طلبها هذا. فما الذي ينبغي عليها ان تفعله يا ترى؟

ثمن النسخة:
٢٠٠٠ل.ل
2000 L.L

«ماذا لديك من عرض لتقدمه؟»

خيم صمت طويل وخطير، كان ريتشارد خلاله يحدق في وجهها وكأنها مخلوقة غريبة ومن عالم آخر، ثم قرر ان يضع حداً لذلك الصمت، فتوجه اليها سائلاً: «وماذا تقصدين بتلك الملاحظة المشكوك فيها؟»

«ما الذي تفسره أنت؟»

تماسكت عضلات وجهه وقال: «ارى انك تتفوهين بكلام كنت اتوقع ان يصدر من فتاة طائشة وليس منك انت بالذات.»

كاي غريغوري

عاشت كاي غريغوري طفولتها في لندن، لكنها انتقلت إلى كندا في سن المراهقة، وتعيش الآن مع زوجها في فانكوفر. رزقا بولدين تركاهما مؤخراً لبلوغهما سن الرشد، واصبح الزوجان وحيدين في ظل حراسة وحماية كلب العائلة الأمين. قامت كاي بالعديد من الأعمال والمهن، وكان افضل ما قامت به هو كتابة الروايات العاطفية لمؤسسة ميلز وبون.

www.elromancia.com

١٠٥٢
عبير
Abir 1052

حب بعد الحريق

كاي غريغوري

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

الفصل الأول

«قف قرب السلك الحديدي، من فضلك. عظيم، يا سيدي. الآن، ابتسم.»

لكن ريتشارد لم يبتسم، بل ابتعد جانباً بأدب في الوقت الذي ضُغط فيه على زر الكاميرا التي التقطت صورة لمسافرة كانت وراءه تماماً.

سُمع صوت نسائي لطيف يغمغم: «سفلة!» التفت ريتشارد ليرى صاحبة الصوت تتعثر بخطواتها على المجاز الضيق الذي يؤدي إلى السفينة وتحمل حقيبة في كل يد وحقيبة على ظهرها.

سألها ريتشارد عندما اقتربت المسافرة إلى جانبه بخطوات متعثرة: «هل يمكنني مساعدتك؟» ومد يده ليأخذ منها إحدى الحقيبتين، متوقعاً قبولا منها مع الامتنان.

نظرت إليه بعينين بنيتين واسعتين من وجه صغير، وخامرها شك سريع لتدخل المسافر، وقد لمست يده يدها دون قصد. فرآها تمسك أنفاسها وتزفر موجات غير متوقعة من الغضب.

قال متضايقاً: «أنا لا أؤذي أحداً. ولكن ان كنت تظنين ذلك، فهناك حمالون، ينتظرون مثل هذه الأعمال، وأنا اطلب مساعدتهم عندما احتاجهم.»

بدت ملامح الفتاة أكثر ارتياحاً وتورد خداها بلون زهري فقالت: «انني على ثقة بأنك مهذب لا تؤذي، كما وانني أعرف

وظيفة الحمّالين، لكن الذي عرض عليّ أن يأخذ حقائبي قبل أن ترسو السفينة، وقف قريباً جداً مني، وطفحت منه رائحة كريهة. فقررت ان اقوم بهذا العمل الشاق بنفسي.»

قال ريتشارد: «فهمت.» وقد لاحظ العزم والحزم من ارتفاع رأس الفتاة الصغيرة بأنفة وكبرياء. فتابع: «لكنني اؤكد لك بأنه ليست لي رائحة كريهة، كما انني لن اقف قريباً جداً منك كما فعل ذلك الحمال. لذا تستطيعين ان تثقي بي، والآن، هل تسمحين لي بمساعدتك؟»

وافقت، ولكن بنفور: «آه، طبعاً، وشكراً جزيلاً لك.»

قال متجاهلاً نفورها: «اين تقع حجرتك في السفينة؟»

«القسم الثالث في ظهر السفينة، على ما اظن.»

أعلمها رجل مسؤول كان يقف عند اعلى المجاز الذي يؤدي إلى السفينة وهو يرتدي بزته الرسمية. وضع ريتشارد حقيبته تحت ابطه وتناول الحقيبتين من يدها، وشق طريقه عبر المجاز إلى سطح السفينة ومن ثم إلى الغرف ذات الأبواب البرتقالية اللون.

سألها ريتشارد: «ما أمر هؤلاء السفلة الذين تحدثت عنهم؟»

«ماذا؟ عن ماذا تتكلم؟» وبرز انفها الدقيق من بين خديها المليئين بالحيوية والنشاط، متسائلة بحيرة، فشعر ريتشارد بالاحراج والصدمة غير المتوقعة من انفعالها.

لا عجب من شعوره بالاحراج مع تلك الفتاة الحادة الطبع. فكر في هذا الآن، وأدرك في الحال ان هناك شيئاً مألوفاً عندها.

بعد تفكير طويل راح يتأملها. كانت أصغر قامة مما

توقع. انفها المتعالي، وفمها المقوس، وخصلات الشعر المتجعدة التي تنسدل على عنقها... وضع يده على فكه يحاول أن يحزر من تكون. تجاهلت نظراته اليها واخذت تحدق بغباء في ابواب الغرف التي امامها.

لم تكن تملك أي مقياس أو معيار من الجمال، ولكن كان لديها شيء ما يفتن المرء به. كانت دائماً، وكما تذكرها، كثيرة الشكوك تجاهه ومازالت كما كانت منذ آخر لقاء بينهما. ولكن كيف لم تتعرف إليه بعد...؟

وضع يديه على خاصرتيه وتابع تأمله، ان الرحلة البحرية على متن سوبر شيب، ستستغرق ستة ايام ما بين نيويورك وساوث امبتون. سيمضون ستة أيام يمخرون عباب اليم بمنأى عن واقع الحياة الطبيعية للانسان، والتي قد يشعر فيها البعض دهراً بأكمله. ربما قد يكون على استعداد الآن وبعد مدة دامت أحد عشر شهراً... كما وانه لا داعي لاستباق الأمور. وهذه الفتاة الآتية من ماضيه قد تمنحه وقتاً من العزاء والتسلية ـ ولا بأس عليه من الانتظار لبعض الوقت.

سألت بلهجة آمرة وهي تنظر إليه من بين رموش عينيها الكثيفتين: «حسناً؟ ماذا كنت تقصد بقولك سفلة؟»

تنبه ريتشارد لكلامها وعاد بتخيلاته الذهنية من الماضي إلى الواقع، وقال: «قلت شيئاً ما عن السفلة عندما فشل المصور في أخذ صورة لي.»

«آه.» هتفت في اللحظة الذي توقف فيه المصعد. وتابعت تقول: «حصل ذلك، لأنك ابتعدت فجأة من امام الكاميرا المصوبة اليك، والتقطت عندئذ صورتي عوضاً عن

صورتك، وكان فمي فاغراً وقتئذ.» ثم تنهدت بأسف قائلة: «انها ليست بالصورة المثالية التي تمنت أن تريها أم لأولادها كذكرى لأول يوم من رحلتها إلى أوروبا وهي فاغرة فاها مثل سمكة.»

«اولاد؟ لا تقولي لي انك ام ولديك أولاد.» وحمل حقيبتيها ومشى بسرعة إلى حجرتها الخاصة، وكان عليها ان تلحق به لتبقى على مقربة منه.

«اظن أنك ستقول لي انني ابدو صغيرة السن.» وتابعت بامتعاض حينما وصلت إلى جانبه: «قد يحدث ذلك فقط مع أم لستة أولاد وفي الخامسة والثلاثين من عمرها، وليس معي انا. كما انني ايضاً لست كبيرة السن كفاية لاطرب من اطراء الآخرين.»

وأخذ ينظر إليها بعين ثاقبة. ان هذه الفتاة المرحة والمدهشة لم تصعقه كما تصعقه عادة الأمهات الصغيرات سناً. وبدت له وكأن لها لسان آخر في فمها. لا تتردد لحظة في استعماله والبوح بما يجول في ذهنها. سره ذلك منها نوعا ما، لكن عاجلاً ام آجلاً، سيوقفها عن ذلك حسب الظروف المؤاتية، وقد يضطر ان يعلمها كيف تلجم لسانها. ولن يكلفه ذلك مجهوداً يذكر، قال وهو يرمق ارنبة انفها المتعالية: «آسف على تلك الصورة التي التقطت لك وبتلك الطريقة. كنت تفضلين ان يشاهدك اولادك وكأنك حسناء السفينة.»

فغرت فاها مندهشة، ثم استدركت ما قالت ولمعت عيناها بمرح ظاهر وقالت: «في الحقيقة ليس لدي اولاداً.»

«لم اعتقد ذلك انا ايضاً.»

«أعرف، لأنك تظن انني صغيرة السن.» ثم ابتسمت ساخرة وهي تتابع: «أم انها طريقتك لتكتشف كم هو عمري؟»

«لماذا يجب عليّ ان أعرف عمرك؟ تبدين في حوالى الثانية والعشرين من العمر. وذلك يناسبني تماماً.»

«أنا لا أناسبك أبداً. أنا في السادسة والعشرين من عمري. الجميع يقولون انني أبدو أصغر سناً مما أنا عليه.»

هز برأسه موافقاً وقال: «هذا افضل. اخبريني الآن، عن هؤلاء الأولاد الذين لم تحصلي عليهم...»

قالت مقاطعة، وهي تنظر مباشرة في عينيه: «انني لست متزوجة. والآن، إذا سمحت، أريد ان افرغ حقيبتي من ملابسي. شكراً جزيلاً لمساعدتك لي.»

قال وهو يسند جسده إلى الباب ويبتسم بتكاسل: «ذلك من دواعي سروري. هل يمكنني ان أسدي خدمة أخرى لك؟»

«لا، شكراً لك. في استطاعتي الآن ان اتدبر اموري بنفسي، يا سيد...؟»

«لاسلو. ريتشارد لاسلو. وأنت...؟»

«الفرايد ماكبيس. شكراً لك مرة أخرى. اتوقع ان اراك لاحقاً.» وعندما انتهت من آخر كلمة لها، اقفلت باب حجرتها بإحكام في وجهه.

فكرت إلف عندما اصبحت وحيدة في حجرتها، بأنه متغطرس وواثق من نفسه. تذكرت عينيه اللتين ضاقتا بمرح عندما ذكرت له اسمها. لكنه لم يرضَ على هذا النحو، عندما أخبرته باسمها. فبعد لحظة لم يبد عليه السرور. وتنهدت متسائلة، في ما لو ان ذلك المتطفل السيد لاسلو، قد يعكر عليها صفو رحلتها ويكون باعثاً للمشاكل. لا بد انه

يدرك تماماً تأثيره البالغ على الجنس الآخر، وهي واثقة بأنها لن تستطيع مقاومته في ما لو حاول واستطاع ان يحرك مشاعرها وعواطفها.

وضعت احدى الحقيبتين على السرير وهي تفكر بفمه المقوس قليلاً، وشفتيه اللتين يجب ان تكونا ارق قليلاً، لتكونا أكثر جاذبية.

سقط على الأرض فستان ابيض اللون للسهرة من بين مجموعة ملابسها، واسرعت تلتقطه وتعلقه في خزانة الملابس.

كان ريتشارد لاسلو. ولغرابة الصدف، شخص مألوف لكن الذاكرة خانتها وأكدت لنفسها انه غير ممكن ان تكون قد التقت به قبلا. لكنها ولو انها قد عانت في التسعة اشهر المنصرمة بحب ميؤوس منه مع طوني، لكانت تذكرت وبطريقة من الطرق شخصاً مثل ريتشارد.

جلست على حافة السرير ذي الغطاء الزهري، واخذت تنظر حولها في ارجاء الحجرة الصغيرة. لم يكن لها نافذة مستديرة، ولكنها كانت نظيفة ومرتبة، تبعث البهجة والانشراح للنفس، وتركت نفسها تفكر وتحلم ولأول مرة منذ اسابيع.

عادت تتذكر ريتشارد لاسلو، بساقيه الطويلتين وبمنكبيه العريضين اللذين اخفاهما تحت سترة بدت فاخرة وغالية الثمن. ويكلل كل ذلك رأس يعلو وجهه الوسيم وبريق لاسنان ناصعة البياض وعينان خضراوان صافيتان. وتساءلت بامتعاض لا تدري له سبباً، لماذا ذلك الشاب الكامل الرجولة قد اطال شعر رأسه كثيراً، مع ان موضة هذه الأيام لم تكن

كذلك، لكن ومع ذلك، كان له ميزة خاصة به، وكان في رنة صوته ايضاً شيء محبب يجبرك على الاصغاء إليه.

هزت إلف رأسها بعصبية وكأنها تريد ان تبعد افكارها عن ذلك الشاب، وقامت عن السرير لتتابع افراغ الحقيبتين بعزم ونشاط. كان من قلة الوعي والادراك في ان تجلس في حجرتها تفكر في رجل التقت به منذ وقت قصير. ومنذ اليوم الأول من الرحلة التي طالما حلمت طوال حياتها بأن تقوم بها، وخاصة انها صرفت مالاً كثيراً من الذي ادخرته سابقاً لتبدأ به عملاً خاصاً بها. إضافة إلى ذلك، فكرت إلف وباشمئزاز من نفسها، إلى انها قد أضاعت وقتاً كبيراً وهي تحلم وتفكر في طوني مؤخراً، وكما كانت واكدت لصديقتها الودودة ساندرا، ان بعض الأسباب الدافعة لقيامها بهذه الرحلة المكلفة، كان من اجل ان تنسى قصتها العاطفية ـ وان تنسى ايضاً، وجهين وسيمين لرجلين مختلفين.

تذكرت ساندرا حينما ضحكت وسخرت منها.

زمت إلف شفتيها. بإمكان صديقتها ان تضحك ان أحبت، ولكن ولا أي رجل في امكانه ان يعكر صفو رحلتها أبداً.

عادت تهز رأسها بتصميم وعناد، ورمت نصف دزينة من الأحذية تحت السرير، ثم فتحت باب الحجرة واغلقته بعنف من خلفها، واستعملت المصعد لينقلها إلى متن السفينة.

كان أول ما وقع نظرها عليه عندما خرجت من المصعد، بعض المسافرين الصاخبين الذين تحلقوا حول رجل قصير القامة ممتلىء الجسم، والذي كان وجهه بلون اليرقان. تساءلت إلف في ما لو مشاعر الرجل تكون مثل لون وجهه، وشكت في ذلك فعلاً، لأنها فهمت من تلويح الجميع بأيديهم،

انهم يطلبون منه ان يغير حجوزات وجبة العشاء لهم.

كانت احدى الامهات تشكو بأن اولادها لم يحجز لهم على نفس طاولتها. وأم أخرى تشكو باضطراب شديد انه حجز لأولادها على نفس طاولتها. لكن الصوت الاعلى، كان يعود لسيدة متصلبة شعرها احمر وصوتها حاد وعنيف مثل صياح الديك. وكانت تقول: «ان ما فعلتموه بي لأمر فظيع. لقد طلبت طاولة منفردة في احدى الزوايا بجانب النافذة، وتضم ستة اشخاص لطفاء. ولكنكم حجزتم لي طاولة في منتصف غرفة الطعام. فلو كنت مسافرة على متن باخرة صان شاين، لما تلقيت معاملة رديئة كهذه.»

ابتسم لها الرجل الشاحب ابتسامة عليلة جعلته يبدو مثل حبة الفاصوليا، وفسر بأنه لا يوجد طاولات إلى جانب النوافذ تتسع لستة أشخاص. ولا يوجد زوايا أيضاً.

قالت صاحبة الشعر الأحمر وهي ترتجف بعصبية: «يا له من أمر مخزٍ ومهين. الا يمكنك ان تحرك الطاولات؟»

«اخشى ان اقول لك، ان ذلك ليس بالامر الهين علينا، يا سيدتي. ومن الصعب جداً ارضاء الجميع وتلبية رغباتهم في آن واحد، ولكننا نحاول دائماً ان نقدم لكم الأفضل.»

غطت إلف فمها بيدها كي تخفي ابتسامتها، وأرادت ان تبتعد عن الجميع، فوقعت نظراتها على سيدة شقراء تلوح بيدها من وراء منكبين عريضين لأحد الرجال. ولحسن حظها ان ذلك الرجل لم يشعر بوجودها، فحولت نظراتها عنه، ثم اسرعت تخطو نحو السلالم المؤدية إلى شرفة تطل على فناء فسيح للسفينة من الجهة الامامية. كانت تلهث قليلاً عندما وصلت إلى ذلك المكان، ووجدت نفسها امام

صف من المحلات تحولت عيناها بسرعة إلى واجهة لمحل يعرض فساتين للسهرة مع حقائب يد لماعة. توقفت تتأمل ذلك الثوب الاصفر الحريري والذي سيناسبها تماماً.

تسلل هذا الصوت إلى اذنيها: «يا لها من بضاعة رخيصة، أليس كذلك؟ نوعية القماش رديئة. بينما المحلات أكثر روعة على متن سفينة صان شاين.»

انها صاحبة الشعر الاحمر، بالطبع.

شاهدتها إلف الآن عن قرب اكثر من الأول. انها رائعة الجمال. كانت طويلة القامة، وتتسلل بنظرات عينيها الزرقاوين من تحت غرة شعرها. وانفرجت شفتاها بلون زهري ساحر. ولكن لماذا يجب ان تسحرني ابتسامتها، فكرت إلف بسخرية. فلو استطاعت ان تدير رأس ذلك المضيف بسحرها وجاذبيتها، فلا شك بأنه يحرك وينقل الجبال ارضاءً لها، والطاولات عند ذلك لن تكون بالأمر الصعب انجازه لها.

ابتسمت إلف مضطرة بعد ان شعرت بأنها اطالت التحديق بتلك السيدة وقالت: «انني لم أسافر قط على متن باخرة صان شاين. كما وان هذه هي رحلتي البحرية الأولى.»

«آه، يا لك من تعيسة.»

«لماذا؟ انني سعيدة لوجودي هنا.»

ردّدت صاحبة الشعر الأحمر: «بضاعة رديئة.»

قالت إلف: «انها ليست كذلك بالنسبة إليّ.» ولكن عندما رأت السيدة الأخرى تلوي بقسمات وجهها اشمئزازاً، تابعت بلهجة دفاعية: «ترعرعت وكبرت والدتي في بريطانيا، وكنت دائماً اود ان اذهب الى هناك. ولكن عندما قرأت عن

ذلك الاحتفال الخاص في العبور اليها، بدا لي انها فرصة عظيمة كي انفذها.»

رفعت صاحبة الشعر الأحمر حاجبيها متعجبة وقالت: «حسناً أما أنا فقد سافرت على متن العديد من السفن، وذلك طبعاً، يجعل مني خبيرة اكثر من الغير في هذه الأمور، ولكنني اؤكد لك بأن هذه السفينة لا تقارن ابداً بسفينة صان شاين. بالمناسبة، أدعى، ميراندا بانينغتون.»

قالت إلف، وهي تمد يدها لتصافح السيدة الأخرى، متسائلة في ما لو انه يجب عليها ان تتأثر أو تندهش من اسم السيدة الأخرى: «وأنا الفرايد ماكبيس.»

هزت ميراندا برأسها مرحبة، وأخذت تشرح بفخر انها الابنة الوحيدة لوالدين ارادا ان يرسلاها إلى بريطانيا كي تختار لنفسها زوجاً غنياً ذو مركز اجتماعي مرموق.

قالت ميراندا بلطف: «آه، يا سلام، انظري إلى فتى الاحلام.»

كان وراء الرجل الملتحي والذي يحمل طفلاً بين يديه، شاب يقفز بسرعة فوق السلالم ويرتدي سروالاً ضيقاً من الجينز وقميصاً قطنياً. ركزت ميراندا نظراتها عليه، ولكنها تضايقت عندما لاحظت ان إلف التقطت انفاسها لدى رؤيته.

لكنه في الحقيقة لم يكن وسيماً، أخبرت نفسها بتصميم. مع ذلك، لم تقو ان تبعد نظراتها عنه، ولا ميراندا التي تقدمت خطوة إلى الامام منفعلة.

اجتاز صاحب الساقين الطويلتين ذلك الوالد وابنه وتوقف على بعد خمسة اقدام من مكان صاحبة الشعر الأحمر، وقد رفع حاجبيه الأسودين فوق عينيه الخضراوين.

قال فتى أحلام ميراندا بابتسامة باردة: «نعم؟» ثم حول نظره إلى إلف متأملاً وكأنه يميزها.

انه ينبض بالحياة والحيوية، فكرت إلف، إنه لا يقاوم خاصة بلون بشرته البرونزي. وهو ليس بالوحيد الذي يتمتع بهذه الصفات.

قالت ميراندا بدلال: «أيمكنك مساعدتي؟ يا لي من حمقاء، يبدو ان الأمور قد تضاربت معي، استغرب إن كان في إمكانك ان تدلني على حجرتي الخاصة؟» ونظرت إليه بعينين ناعستين مثيرتين، ولكنها سرعان ما فتحتهما بسرعة عندما رأت ان الطعم الذي وضعته له لم يأت بأية نتيجة.

«يسرني فعلا ذلك، لولا انني لم اعد الفرايد مسبقاً في ان نتجول معاً في ارجاء هذه السفينة. واعتقد لو انك تنزلين هذه السلالم القليلة، ستجدين امامك مكتب الاستعلامات. بامكانهم مساعدتك.»

هتفت ميراندا، وضاقت عيناها الزرقاوان بحقد وقالت: «حسناً! هذا ليس تصرف لائق وحضاري منك، يا سيد...؟»

«لاسلو. واعتذر عن تلكؤي في مواكبة الحضارة، يا آنسة...؟»

«ميراندا بانينغتون.»

«آنسة بانينغتون، لكنني قلت لك إلى اين تتوجهين.»

إلف، التي كانت تعاني من مشكلة في تنفسها، صدر عنها صوت اختناق. نظرت اليها ميراندا بشك، ثم تحولت لترمق ريتشارد، الذي كان يتكىء بجسده على درابزين السلالم مائلاً برأسه إلى الخلف. والتقت نظراته البريئة بنظراتها الحاقدة.

غمغمت بكلامها: «حسناً، إذاً. اعتقد انك من النوع الذي يبر بوعده، فهل اعد نفسي برؤيتك مجدداً؟»

ودار بخفة حول ميراندا ليتأبط ذراع إلف، ثم قال: «من الممكن ذلك. هل أنت جاهزة، يا آنسة ماكبيس؟»

شعرت إلف برعشة خفيفة سرت في داخلها، عندما شدت أصابع ريتشارد على ذراعها، ووجدت نفسها تميل نحوه بسرعة وذلك لأنها لم تستطع ان تحافظ على توازنها.

نظرت إليه بعد ذلك، لترى ان عينيه كانتا تتركزان عليها كذئب اصطاد لتوه دجاجة ليتعشاها، واسرعت تحول ناظريها إلى الأمام.

«اعتقد بأنك ترغبين في ان تشاهدي تمثال الحرية وهو يختفي بعيداً عن أنظارنا.» قال ذلك متظاهراً بالابتسام وأضاف: «كل شخص يفعل الشيء نفسه في أول مرة.»

«كيف عرفت بانها المرة الأولى بالنسبة إليّ؟»

«من ذلك البريق في عينيك البنيتين الجميلتين.»

«حسناً، هذا اطراء لطيف لكنه ليس استثنائياً.»

أجاب ريتشارد، دون أن يبدو عليه الافتتان ابداً: «لقد فتنت بهما.» احكم التمسك بذراعها، عندما حاولت ان تسحبها منه، مشى بها على طول الشرفة ثم إلى الباب الزجاجي الذي يؤدي إلى فناء خارجي من سطح السفينة. وانتقل بها بلباقة ودهاء بين حشد من المسافرين إلى ان وصل بها إلى مكان قد خلا من أي مسافر.

عندما التفتت حولها، وجدت أنه لم يكن واقفاً قربها كما توقعت، بل يتكيء بلا مبالاة على حاجز يفصل الحجرات عن بعضها، يراقبها بابتسامة غامضة تشع على شفتيه.

لم يغادر مكانه لينضم إليها، واخذت السفينة تبتعد عن المرفأ ترافقها اصوات وضحكات المسافرين وهم يودعون الأهل والاصحاب، وظنت للوهلة الأولى بأنه غادر المكان وتركها. ولكنها ادركت بعد ان رأت تمثال الحرية يختفي أمامها، أنه على مقربة منها. شعرت بعدم الارتياح عندما لامست ذراعه ذراعها، ولكنها بدت وكأنها حصرت اهتمامها بالمشهد الرائع الذي كان يتقلص من امامها شيئاً فشيئاً.

كانت تحدق في المسافة امامها، وعادت بأفكارها إلى طوني وهاري، وذلك بعدما شعرت برجل يلتصق بها.

كان هاري تلميذاً في جامعة الطب، وكانت قد التقت به في العيادة التي كانت تعمل فيها، واحبته حباً جنونياً إلى ان اكتشفت بأن مثله الأعلى والذي يعني له الكثير، كان رفيقه الذي يشاركه الغرفة ـ والذي يزن مئتين وخمسين باوناً وله لحية كثيفة.

قررت منذ ذلك الحين، عدم التورط مرة اخرى بعلاقات عاطفية، إلى ان التقت طوني في السوبرماركت، وتأكد لها وقتئذ بأنها قد عثرت على الحب الحقيقي اخيراً. كان يقف قرب قسم الأجبان وتبدو عليه الحيرة وهو يحاول ان يميز ما بين جبنة الكامومبر وجبنة البري. وكأن إلف قد وصلت وقتها لتنجده، وسحرتها وسامته وجاذبيته. وعندها شعرت بأن مشاكلها ومعاناتها قد اختفت ولم يعد لها وجود، طالما انها قد حظيت بطوني، فالعالم اصبح بنظرها جميلاً ورائعاً.

تأكد لها في النهاية، وبعد مضي ثمانية اشهر من

معرفتها له، بأنها لا يمكن ان تكون لطوني او ان يكون طوني لها. فقد اكتشفت انه مازال يحب زوجته السابقة، والتي كانت قد تركته ولحقت برجل آخر يربي المواشي.

عادت إليها ذكريات آخر يوم كانت فيه معه، وبالألم الذي سببه لها الرجل الذي احبته بكل جوارحها. كان قد اعترف لها ومن دون اي مبالاة، بأنه، ومع كونه أحبها، فليس لديه نية في الزواج منها، وبالأخص لأنه لم يستطع إقامة علاقة حميمة معها بعد كل ذلك الوقت الذي مضى، ذلك لأن عقلها الراجح ونشأتها التربوية الصالحة، كانتا دائماً تردعانها من اقتراف مثل هذا الشيء الرهيب. لذا، وبعد كل ذلك لم يكن هناك اي لزوم لاستمرار تلك العلاقة بينهما.

صعقت إلف وقتها لذلك الأمر، ولم تصدقه. ظنت بأنه كان يمزح معها في أول الأمر، ولكنها لم تتفوه بكلمة واحدة، وأخذت تحدق به بصمت كئيب، هز كتفيه بلا مبالاة بعد ذلك، وقبلها فوق جبينها، وتركها من دون ان يلتفت إلى ما ورائه. فانهارت اعصابها واسقطت جسدها بعياء فوق الأريكة القديمة، واخذت تحدق شاردة الذهن وتفكر بالأمور التي قد آلت إليها.

لقد خفت وطأة تلك الصدمة منذ حدوثها، وكذلك الأذى والجرح من جرائها، لكن شعورها بالوحدة لم يفارقها قط. وادركت ان الشخص الوحيد الذي يجب ان تعتمد عليه، هو نفسها ولا احد غيرها. وكان لوجودها على متن سفينة سوبر شيب اكثر من سبب وجيه، واهم تلك الأسباب ان تعيد البسمة إلى شفتيها والبهجة إلى نفسها.

لذلك، تركت عملها وانفقت نصف ما ادخرته لتقوم برحلة

الأحلام هذه التي قد تمكنها من نسيان رجل مثله، وبذلك تمنح لقلبها فرصة التئام الجرح وشفائه.

قطع صوته الهادىء حبل افكارها الحالمة: «ما رأيك في التجول معاً في ارجاء السفينة كما وعدتك؟»

قالت له وهي تعود إلى الواقع: «انك لم تعدني بشيء. كان ذلك فقط عذر للتخلص من ميراندا، اليس كذلك؟ وان تخبر قصصاً ملفقة وبطريقة ساحرة ومقنعة هي احدى مواهبك المميزة، يا سيد لاسلو. واعتقد انها صدقتك فعلا.»

ابتسم ريتشارد ورفع خصلة من شعرها الأجعد عن جبينها، كان هواء البحر قد دفع بها. وارتعشت فرائصها فجأة من ذلك، مع انها كانت في يوم من ايام الصيف اللاهبة.

قال ريتشارد: «صدقتني، طبعاً.»

همهمت إلف وبدا على محياها التفكير الشديد ثم قالت: «سبب تخلصك منها لم يكن لكونها رائعة الجمال.»

«أتوافقين معي انها فعلا رائعة الجمال؟» وتحولت ابتسامته وكأنها تذكره بذكرياته الماضية وتابع يقول: «لكنني لا اريد ابداً ان يستخف بي احد، وخصوصاً انني ادركت ان السيدة لم تكن تائهة عن حجرتها كما ذكرت.»

«لا. انها لم تكن كذلك، ولكنني اشك في انها اعتبرتك غبياً ايضاً. اشبه بـ...»

قاطعها مقترحاً بجفاف: «ان تلقي بنفسها عليّ بطريقة سهلة؟ صحيح وربما قد اكون غبياً مع كل ذلك. هذا لا يهم، وقد يكون هناك شيء ما يعوض ذلك.» والقت عيناه الخضراوان بنظرة خاطفة عليها شعرت إلف عندها، بالحرج، وتورد خداها بانفعال شديد.

ابتسم ريتشارد وامسك بمرفقها. عندما حاولت التخلص منه مرة اخرى، وقال: «هيا نذهب من هنا.» وقبل ان تتمكن بأن تقوم بأية معارضة، وجدت نفسها قد اصبحت في الصالة الداخلية للسفينة الباردة من جراء مكيف الهواء.

قالت ساخرة: «انك تثق بنفسك كثيراً، الست كذلك؟»

«اصبت التقدير.» واخذ يدفعها امامه إلى ان توقف بها عند حوض سباحة كان يعج بالأولاد الصغار واصواتهم تعلو فرحاً وابتهاجاً.

تمتم ريتشارد: «آه، يا له من شيء مزعج.» وقف وأخذ يتنقل بنظراته متأملاً بين إلف وحوض السباحة ـ والعكس بالعكس. ويقدر المسافة والاتجاه معاً، وتأكد لإلف بعد لحظات تردد بأنه يقصد من كل ذلك ان يدفع بها إلى الماء.

صاحت بأعلى صوتها: «لا تحاول وتتجرأ ان تفعل ذلك. حاول فقط وسوف...»

قاطعها ريتشارد قائلاً: «وسوف ماذا؟ اتمنى ألا تحاولي وتهدديني، يا آنسة ماكبيس، فأنا لا أرفض التحدي.» واحكم التمسك بها بقوة، ووميضات التحدي تلمع في عينيه.

اخذت تتنفس بجهد وهي تحاول الافلات من قبضته، ولكنها شعرت بأن يده تلهب بشرتها، وتشل ارادتها كلياً، وتقطع عنها الاجابة التي قفزت إلى شفتيها.

تراجعت بسرعة قائلة: «لا، انني طبعاً، لا اهددك. ان كان الأمر يناسبك، اود شرب شيء منعش الآن، وقد اقوم باستعراض السفينة بنفسي في وقت لاحق.»

أجاب ريتشارد: «كل شيء يأتي في حينه، يا الفريد.»

شعرت إلف وكأنها وبخت بطريقة مخلة بالأدب، ثم قالت

بانفعال: «لم يناديني قط ولا أي انسان باسم الفريد.»

قال ريتشارد: «بالتأكيد، فهم ينادونك باسم إلف.»

قالت بسخط: «كيف عرفت ذلك؟» واشتد فضولها في أن تعرف كل شيء عنه.

«سأخبرك في أحد الأيام، وذلك إذا تصرفت بشكل جيد. تصرفي بشكل لائق، وسوف اقدم لك الشراب الذي طلبتيه.»

حاولت إلف ان تفكر بجواب يغيظه، لكنها بدت محتارة بأمرها عندما وضع يده بخفة على ظهرها واقتادها امامه إلى حانة صغيرة محاطاً بكراس جلدية خضراء.

كانت لا تزال حانقة عندما سحب لها كرسي لتجلس عليه، وكان على ما يبدو، غير مستعد لأن يشرح كيف عرف اسمها الآخر. واعتقدت ان ذلك قد تكون ميزة من مزاياه العديدة ولكن الغموض والشكوك بأمره اصبح وكأنه يغزوها غزواً، ذلك إذا كانت ما تعتقده فعلاً غموض.

سألته بانفعال شديد عندما لوى فمه بابتسامة ساخرة: «ما الذي يدعوك إلى الابتسام؟ اننا لم نلتقِ قبل الآن، اليس كذلك؟»

صرح لها، بنبرة فضولية: «ربما التقينا في حياة أخرى غير هذه، حيث انني وصفت بالنذل المروع؟ فهل تعتقدين بأن ذلك قد يساعد حماسك لاخماد الفتيل؟»

الفصل الثاني

حدقت إلف بريتشارد مندهشة عبر الطاولة ذات اللون الأخضر الشاحب والتي تتناسق بلونها مع الكراسي المحيطة بها، ثم قالت له: «ماذا تقصد بالفتيل؟»

تقدم في هذه الاثناء النادل ليدون طلبهما، وعندما انتهى من ذلك، استوى ريتشارد في كرسيه، ووضع ساقاً فوق ساق وأجاب باقتضاب: «أقصد بالفتيل، وذلك بالنسبة للقوانين الكيميائية، يستطيع بقوة ان يلهب العاطفة المتأججة التي حاولت بكل ما لديك من طاقة ان تطفئينها.»

فهمت إلف ولم تخطىء ما كان يعني بكلامه، وكانت ردة فعلها عنيفة، مع انها كانت تدرك بأن نصف ما قاله عنها كان صحيحاً.

توجهت إليه بعنف شديد: «أنت لست سوى رجل مغرور لا يطاق، وأناني متغطرس ومن الحيوانات الزاحفة الحقيرة. وان كنت تظن بأن كل امرأة تستميت سعياً وراءك، فأنت متفائل. متفائل مخدوع.» وهمت بالنهوض عن كرسيها، ولكن ريتشارد أسرع وأمسك برسغيها بقوة، فلم تستطع التحرك دون أن تلفت الأنظار إليها.

قال لها بهدوء: «لا، لست كذلك. قد أكون متغطرساً ولا أطاق، ولكنني لا أعتقد بأنني مغرور وأناني. لقد صادفت العديد من النساء اللواتي كان اهتمامهن محصوراً فقط بشخصي وليس بدفتر الشيكات أو بملامحي الصبيانية.

وذلك بعيد كل البعد عن الأنانية وحب الذات. ودعيني اقول لك انني لم أصعق كونك سيدة عاقلة ومقنعة، لذلك لدي سبب في التفاؤل. بالمناسبة، إلى أي نوع من الحيوانات الزاحفة نسبتيني إليه؟»

«حيوانات زاحفة؟» حدقت إلف به بغباء، ثم تذكرت بأنه كان يقصد ذلك الابتهال اللغوي الذي صفعته به قبل قليل. قالت ببرودة شديدة: «أعتقد، أفعى.»

همهم، وبدت عيناه للحظة وكأنهما عينا أفعى بالفعل. حرّرها من قبضته وابتسم لها بغموض، وطمأنت نفسها إلى أنها في أمان الآن، جالسة في السفينة الفخمة ومن حولها اناس كثر قد يهبوا إلى مساعدتها ان هي احتاجت لتلك المساعدة، وعندها فلا سحر ريتشارد الكامل الرجولة ولا تحرشه بها يستطيعان تهديدها أكثر من ذلك.

مسح ذقنه متأملاً: «هل نعتني بالأفعى؟»

أردفت قائلة: «حسناً. ربما لست أفعى كبيرة.» وراحت تحاول السيطرة على نفسها كي لا يدخل الاضطراب إليها. والمضحك في الأمر، ان نقمتها الكبيرة عليه بدت غير فعالة وهي ترى تحرك عضلات جسمه الرياضي تحت قميصه.

قال بعبارة غامضة: «ولكنه سام، بالطبع؟»

حاولت إلف ان تمنع نفسها من الضحك وهي تقول: «في بعض الأحيان، فقط.»

حذرها قائلاً: «آنسة ماكبيس، من الأفضل لك ان تتعلمي كيف تتجنبين الافاعي السامة، وخاصة هؤلاء الذين يلسعون في بعض الأحيان.»

قالت إلف باختصار: «لا تقلق، سأفعل.»

أربكتها بهجته للاجابة التي قامت بها، وكانت تلك البهجة تطل جلياً من عينيه الخضراوين.

سألها فجأة: «أخبريني الآن، ما الذي تفعلينه على متن سفينة سوبر شيب؟» وكأنه كان يعتقد بذلك انه له الحق في ان يعرف كل شيء عنها.

قالت إلف بعذوبة: «أبحر إلى اوروبا. ما الذي اعتقدته غير ذلك؟»

نقر ريتشارد اصابع يده على الطاولة وقال لها بلهجة ساخرة غير عابىء بمشاعرها: «الأغلبية تستعمل الطائرة لأمر كهذا.»

«انك لم تستعمل الطائرة ايضاً، على ما أرى.»

«لا. لست على عجلة من أمري.»

«لكنك تعتقد بأنني يجب أن أكون كذلك.»

«ليس بالضرورة.» وأخذ يتأمل وجهها ثم انتقل بنظره إلى يدها التي تمسك بها حقيبة يدها بقوة: «ولكن تبدين قلقة، بالنسبة لسيدة صغيرة، للوصول حيث هي ذاهبة.»

جفلت من غضبها في ان يراها على هذا النحو: «هذا ليس صحيحاً. أود الوصول إلى بريطانيا. لم احجز لعودتي بعد مما يدل على انني لست في عجلة من أمري.»

«فهمت، ولذا اخترت سفينة سوبر شيب من أجل اختبار السفر عبر المحيط.»

قالت إلف بلهجة ساخرة لم تستطع اخفاءها: «هل تقصد، ماذا تفعل فتاة لطيفة مثلي على متن سفينة كهذه؟»

«انني لم أنكر كلمة لطيفة، شخصياً أجد لطيفة أفضل من فاترة.»

قالت إلف متجاهلة الشرك الذي يريد ان يوقعها فيه: «هذه أنا. تقول فاترة، ولكن ذلك ما يجعلني اختار هذه السفينة، لأنها ابطأ من غيرها، وبالتالي تأخذ وقتاً كافياً لأبتعد عن كل ما هو روتيني.»

«عن اي نوع روتيني تتكلمين؟»

هزّت كتفيها بلا مبالاة وأجابت بخفة متعمدة: «لقد اتكلت على نفسي منذ كنت في السابعة عشرة من عمري. كانت والدتي قد توفيت في تلك الاثناء، ولم يستطع والدي بما يملكه ان يداويها أكثر من ستة أشهر.» توقفت عن كلامها وتعجبت من تقطيب وجه ريتشارد المفاجىء، ومن جموده على كرسيه دون حراك. تابعت بعد ذلك قائلة: «لم نكن نملك الكثير من المال. كان يكفي فقط لاتعلم مهنة السكرتاريا. وأخذت احلم في ان اؤسس وكالة خاصة بي، واشتغلت وجاهدت كي اؤمن معيشتي ولأدخر كل قرش كي اتمكن من القيام بأي شيء مثير. هذا هو النوع الروتيني الذي مارسته. ولو ان الطبيب الذي كنت اعمل في عيادته، لم يقرر نقلي إلى مشروعه الجديد في فصل الربيع، لكنت مازلت في عملي الآن، بدلاً من ان انفق المال الذي ادخرته، في هذه الرحلة البحرية.» وعندما رفع ريتشارد حاجبيه متسائلاً، حدقت إلف بالطاولة وأخذت تشرح له: «لقد منحني ترقية.»

خيم الصمت للحظات قليلة، ثم سأل ريتشارد مستفهماً: «ذلك مقابل بعض الخدمات؟ خدمات من... من النوع الشخصي؟» وكان في رنة صوته سخرية وازدراء مما جعل إلف تطرف بعينيها بدهشة.

«هذا صحيح، ارى انك تفهمني بسرعة، يا سيد لاسلو.»

لوى ريتشارد فمه بترفع وانفة وقال: «الم تتوقعي مني ذلك؟ لا، لا تقولي هذا. على كل حال، قرارك بترك العمل كان صائباً.»

كان من المبهج ان ترى ريتشارد يشاركها بقوة في هذا الموضوع. وحدقت به بفضول. لم يكن يمزح. تساءلت في ما لو ان خيالها جعلها تسمع تناقضاً في نبرة صوته. وشعرت فجأة بقشعريرة باردة عندما التقت نظراته الباردة بنظراتها المشككة. لاحظت ان هناك شيئاً في نظراته إليها... لا. لا بد من انها مخبولة. فريتشارد رجل جذاب، ولكنه ليس من النوع الشرير والفاشل كالذين تعرفت إليهم في الماضي.

سألت بسرعة: «ما هي مهنتك؟» كان هذا أول شيء استطاعت ان تفكر به، وكانت تريد بكل ما تملك من ارادة ان تنزع من رأسها كل اشباح ماضيها الكئيب.

«انني صائغ مجوهرات.»

«آه.»

قال مبتسماً بمكر: «الا يترك ذلك انطباعاً في نفسك؟»

«أمن الضرورة ذلك؟»

«كلا، ليس من الضرورة.»

قطبت إلف حاجبيها تفكر إن كانت قد سمعت بعائلة لاسلو من قبل في بعض العلاقات، ولكنها لم تستطع أن تتذكر...

سألته فجأة: «هل كنت اذاً تمضي اجازة في الولايات المتحدة؟»

«ان صح التعبير، كانت اجازة بين العمل والمتعة، وكما انه لدي بعض الأصدقاء القدامى في لوس انجلوس...»

«إنه المكان الذي اتيت منه!»

«مذهل. كما كنت اقول لك، لدي اصدقاء قدامى هناك الذين ورثوا موُخراً كنزاً من اللآلىء القديمة. عندما طلبوا مني ان اثمنها واقيمها وافقت، وامضيت بعض الوقت في تقييم الحجارة الكريمة، كذلك امضيت وقتاً طويلاً استعرض المناظر الطبيعية.»

سألت إلف، التي لم تلحظ نظرته الاستفزازية: «كيف وجدتها؟»

«ساحرة، ولكنها ليست كثيفة كما يجب.»

«انني لم اقصد المناظر الطبيعية.»

قال ريتشارد مبتسماً بخبث: «أعرف.» وتمنت إلف لو انها لم تتسرع في الجواب. قطبت حاجبيها وتظاهرت بانها منشغلة تنصت لصوت الزوجين اللذين جلسا إلى طاولة قربهما وكانا يتجادلان حول من منهما قد اضاع حبوب دواء حرقة المعدة. ضحك ريتشارد في تلك الاثناء، شعرت ومن دون اي سبب لذلك باحمرار متعب في خديها.

تمتم بخفة: «ان هذا اللون على خديك، يناسبك تماماً.»

كانت ابتسامته والطريقة التي كان ينظر فيها إليها وكأنها احدى الحجارة الكريمة والأقل قيمة، جعلتها تفكر في ان تصفعه على وجهه المتكبر.

قالت بطريقة لاذعة: «اعتقدت، بأنك لم تكن تحت تأثير جاذبيتك.»

سأل بهدوء: «هل قلت ذلك؟»

«أظن ذلك، لكن...»

قاطعها قائلاً: «اذاً، اقترح عليك ان تعي جيداً للاطراء عند

سماعك واحداً. كما أنني، لا اعتقد بأن النساء الجميلات قد خلقن خصيصاً لي وتحت تصرفي، ولكنني اراه حلماً رائعاً، انما ليس من الناحية المنطقية والواقعية.»

«لم اقصد...»

عاد يقاطع كلامها: «نعم، لقد كنت تقصدين ما قصدته.» ثم سكت لبضع لحظات وتابع بصوت مختلف وهادىء: «ومع ذلك، فأنت مخطئة. فلو اردت ان الاحق الفتيات بأعمال صبيانية، لما كنت الآن في هذا المركز المرموق.» توقف قليلاً وكأنه يراجع ما حصل له ثم قال: «إلى أن التقيت منذ أحد عشر شهراً بإحداهن. ولكن وأقول ذلك بصراحة، ذلك الأمر لم يثرني كثيراً.»

جرعت إلف جرعة سريعة من كأسها. انها لا تريد ان تسمع شيئاً عن مغامرات ريتشارد العاطفية أو عن افتقاده لذلك. ولا تريد أن تعرف ما حدث له منذ مضي أحد عشر شهراً، ثم نظرت إليه ورأت تعابير وجهه المتصلبة والتي انبأتها، ان ما كان وحدث له في الماضي، قد ترك اثراً بالغاً في نفسه الآن، وهي التي اعتقدت بأنه خالٍ من الشعور والاحاسيس. وقد يكون ريتشارد محدثاً عفوياً ووجهه يؤثر على النفوس. كانت كلما نظرت في عينيه تضطرب ويختلج كيانها.

ادركت انه سبب لها ارباكاً وازعاجاً، لم يسببه طوني لها يوماً. عندما ابتسم لها ابتسامة مثيرة، شعرت كأن روحها فارقتها.

طالت ابتسامته لها مما جعلها تستمر في اضطرابها، لم تكن ابتسامته من النوع الذي ترتاح إليه.

سألته وهي مقطبة الجبين: «ما الذي يضحكك؟»

قال لها: «أنت. انك تذكرينني بالقنفذ وبطبيعته المترددة ولكنني اؤكد لك، بأنني في وضع امين وسليم.»

لوت إلف بشفتيها بامتعاض لادراكه ووعيه الحسي وقالت: «أنا أيضاً متأكدة من ذلك.»

جرع ما تبقى في كأسه ووقف ثم سألها بهدوء: «هل أنت جاهزة؟»

«جاهزة لأجل ماذا؟»

برقت عيناه وقال: «لا، ليس كما تظنين. والآن اعتذر منك، فهناك بعض الاشغال يجب ان أقوم بها.»

فكرت إلف. لا، لا اشغال لديك، بل لأنك اكتفيت من الحديث معي.

وقفت هي الأخرى. وبعد بضع دقائق، شعرت وهي تتكىء باعياء على درابزين السفينة أنها وحيدة مرة أخرى.

ماذا يجري لها؟ انها بالكاد تعرفت على ريتشارد لاسلو، ولكنه من المؤكد غير مؤذٍ. لماذا اذاً، يبدو ان له تأثيراً لا يقاوم على قلبها الذي اصبح يخفق بطريقة غير اعتيادية؟

ربما سبب ذلك انه غير مؤذ أبداً...

شيء في داخلها حثها على التوقف عن الاسترسال في افكارها. كانت تعلم جيداً ان مثل هذه الأفكار من الممكن ان تؤدي بها إلى التعلق به، ففي الماضي أحبت هاري، وبعد ذلك طوني الذي لم يستطع يوماً ان يحبها...

وجدت إلف نفسها تمسح دمعة سقطت على خدها ثم هزت برأسها بتصميم وعزم. انها لن تسمح ابداً للكآبة ان تعرف لها طريقاً إلى قلبها بعد الآن، بسبب رجل جذاب اهتم بها قليلاً، وذكرها بالذي ضاع منها.

ابتعدت إلف عن درابزين السفينة وبدأت تمشي برشاقة

فوق سطحها المتمايل، وكان هواء البحر الحار يشعرها بالنشاط والحيوية وأخذت تتنشق منتعشة رائحة البحر المالحة. وكان كل ما تحتاج إليه في الوقت الحاضر، هو ان تقطع كل خيوط الماضي العاطفية، وكذلك كل شيء سخيف يتعلق بمستقبلها.

مشت طويلاً على سطح السفينة واكتشفت عدة قاعات أخرى فاخرة الأثاث بألوان زاهية، قاعتين للرقص، غرفة للألعاب الكهربائية، قاعة للرياضة وكازينو مترف جداً. وعندما انتهت من جولتها هذه، عادت إلى حجرتها الخاصة لتغير ملابسها وتستعد للعشاء.

اختارت بعد تردّد قليل، تنورة صفراء وبلوزة تناسبها واملت ان تكون قد أحسنت الاختيار.

دخلت إلف غرفة الطعام، ورأت الازدحام الشديد لرواد المطعم الذين يندفعون إليه بجوع ونهم، ومع ذلك سرّت، من اندفاع مضيف شاب أسرع لخدمتها وأرشدها إلى طاولة في منتصف الغرفة تقع مباشرة تحت الثريا الكبيرة المشعة.

قال لها رجل نحيل، غطى الشيب شعر رأسه، وهو يقف منحنيا لإلف عندما كانت تأخذ مكانها إلى الطاولة. مساء الخير، ادعى جيري بريدجر، وهذه اليزابيت.» وأشار إلى سيدة ممتلئة الجسم وقد شارفت على الستين من عمرها والتي كانت ترتدي ثوباً أسود محتشماً.

قالت اليزابيت بلطف: «كم يسعدنا انضمامك الينا.» كانت ابتسامتها عذبة وساحرة، وشعرت إلف بالارتياح تجاهها، ثم تابعت قائلة: «أتساءل في ما لو كانت هذه رحلتك الأولى على متن سفينة سوبر شيب، يا عزيزتي؟»

أجابت إلف وهي تجلس على كرسيها: «نعم، انها رحلتي الأولى، وهل انها أيضاً رحلتك الأولى؟»

قال جيري وفي نظراته خبث ومكر: «لا. هذه رحلتنا السنوية التي نقوم بها في مثل هذا الوقت، اليس كذلك، يا اليزابيت؟ كنا قد التقينا وعلى هذه الطاولة نفسها منذ خمسة اعوام مضت، لكنها تعيش في كورن ول وأنا أعيش في فلوريدا، ونلتقي مرة كل سنة في رحلة كهذه.»

قاطعته اليزابيت وكأنها تردعه عن متابعة كلامه: «جيري...»

جاء صوت مألوف على اذن إلف: «موضوع حساس جداً. الا توافقينني في ذلك، يا آنسة ماكبيس؟»

تلعثمت إلف في كلامها بينما كانت اصابعه الطويلة تلامس عنقها، ويقف بقامته الطويلة إلى جانبها ببزته الأنيقة الرمادية اللون: «انني... لا...»

«لا، ماذا؟»

قهقه جيري، وقدم ريتشارد نفسه قائلاً: «انني ريتشارد لاسلو، واتصور بانكما قد تعرفتما إلى الفريد ماكبيس.»

سأل جيري واليزابيت في وقت واحد: «من؟»

قالت بنبرة حازمة: «انه يعنيني وأنا أدعى إلف.»

تابع جيري ضحكته وسأل: «هذا أفضل بكثير. هل انتما مسافران معاً؟»

«لا، وللأسف.» ونظر ريتشارد إلى إلف بوجه يملؤه الحزن والحسرة، أرادت أن تضحك لذلك، ولكنها تغلبت على شعورها.

قررّت بعد أن انضم شخصان آخران إلى الطاولة، بانه لم

يعد هناك مجال للضحك. كان احد الشخصين شاباً سميناً جداً ويضع نظارة على وجهه.

الشخص الآخر كانت ميراندا التي التقتها سابقاً.

قال ريتشارد وهو يلتفت إلى القادمة الجديدة: «مساء الخير، يا آنسة بانينغتون.»

«مساء الخير، يا سيد لاسلو.» ونظرت إليه نظرات ناعسة، وقد وضعت بعض مستحضرات التجميل على وجهها مما زادها جمالاً وفتنة. كان واضحاً بانها لم تكن مرتاحة. لقد اخضعت للتدابير التي أقرت لطاولة العشاء.

فكرت إلف ان هذه السيدة اشبه بقطعة سكاكر، تغريك بلونها الزهري ولكن لا طعم لها ولا لذة.

جاء النادل ليسجل طلباتهم، وأخذت إلف تمعن النظر في لائحة الطعام. فيها اسماء كل اصناف الطعام الغريبة التي كانت تسمع عنها، وفكرت بانه يجب ان تكون جالسة مع رجل يشبه هذه اللائحة وفريد من نوعه، رائع وساحر وبامكانه ان ياكل كل شيء دون ان يظهر عليه ذلك.

تمتمت بصوت هامس: «حسناً، لست مهتمة لشيء، سوف اتناول كل ما طاب لي من الطعام، حتى لو زاد وزني وسمنت.»

سألها ريتشارد: «هل قلت شيئاً؟»

أجابت إلف باقتضاب: «لا.»

تمتم ريتشارد: «أقسم بانك كنت تقولين شيئاً.»

تجاهلت إلف ما قاله، وعادت تحصر اهتمامها بلائحة الطعام التي بين يديها. اختارت اخيراً طبقاً كبيراً من المعكرونة مع الصلصة، وعندما حضر طبقها، ادهشها ان

ترى ميراندا ترمق طبقها بعين شرهة. ولكي تحافظ على قوامها، طلبت طبقاً من سلطة السبانخ.

لذا، فتلك الجميلة يجب أن تنتبه إلى عدم زيادة وزنها، وذلك سبّب لإلف شعوراً أكثر ارتياحاً.

دارت الاحاديث حولها، والرجل السمين الذي بدا صامتاً وبمزاج عكر في البداية وقبل مجيء الطعام، اعلن وبفم ملآن بأنه يدعى شارلز. ب. ووتربوش ومن ولاية فرجينيا، وبعد ذلك لم ينطق ولا بكلمة واحدة بل حصر كل اهتمامه بتناول الطعام.

قال جيري عندما جاءت القهوة: «أعتقد أيتها الآنستان، انكما ستمضيان الليل ساهرتين تحت ضوء القمر، على عكسنا نحن العجائز المرهقين.»

شعرت إلف بعيني ريتشارد عليها، وهزت رأسها نافية وقالت: «آه، لا. انني مرهقة ايضاً، وسوف اكون في فراشي بعد قليل.»

حمل ريتشارد فنجان القهوة ونظر إليها بتأمل ثم قال: «يا لها من فكرة ممتازة.»

رشفت إلف آخر ما في فنجان القهوة، ثم تنحنحت قليلاً ووقفت بسرعة وهي تقول: «أرجو أن تعذروني، وان لا تمانعون بمغادرتي السريعة، لكنني أشعر ببعض التعب هذه الليلة، لقد كان يوما طويلاً وشاقاً.»

قال ريتشارد وهو يبتسم بطريقة مبالغة في اللطف ولدرجة تمنت ان تضرب انفه المتغطرس: «لا فائدة للجدل في ذلك، ان الفراش هو المكان الأنسب لك.»

قالت إلف بحنق، وهي تتراجع قليلاً إلى الوراء ورمت

بالكرسي التي كانت تجلس عليها أرضاً: «توقف عن ذلك.»

رفع ريتشارد الكرسي إلى مكانها من دون ان يعلق بكلمة واحدة على ما حصل. لكن، وقبل ان تتحول إلف بعيداً عنه، لمحت مسحة من السخط الساخر على وجهه، وكانت تشع بمرح صبياني مما جعل الدم يجري حاراً في عروقها.

مشت إلى خارج المكان وهي ترتجف انزعاجاً وغضباً منه، وبرأس مرفوع، وكانت حقيبة يدها المعلقة في كتفها، تتأرجح حولها. توقفت فجأة خارج غرفة الطعام.

كانت تستطيع ان تلفّق لريتشارد قصة افضل من هذه ولكنها لم تفعل ذلك خاصة في ليلتها الأولى على السفينة.

مرّ من جانبها بعض المسافرين يضحكون جذلين فرحين، واصطدمت احدى الفتيات بعنف بمرفق إلف، وكانت نحيلة جداً، فأحست بحافز يدفعها لأن تلحق بها. يجب ان تذهب إلى أي مكان قبل ان ينهي ريتشارد فنجان القهوة ويجدها.

اكتشفت بينما كانت تلاحق الفتاة النحيلة، بأنها كانت تتوجه إلى نادٍ ليلي.

أخذت إلف تنظر إلى الفتيات والفتيان الذين يتأملون ارتفاع صوت الموسيقى ليبدأوا بصخبهم. وعندما عزفت الموسيقى، شعرت بأنها ومن دون رفيق معها، لا مكان لها في هذه القاعة. لكنها فكرت، بأن الغرفة مضاءة بأنوار خافتة، وفي استطاعتها ان تضيع تماماً في هذا الحشد الكبير.

فتشت بنظرها على مقعد تجلس عليه، ولكنها وجدت بأن جميعها قد شغلت، لذا حملت كأسها ووقفت جانباً.

تمتم صوت لا يمكن ان تخطىء في من يكون صاحبه:

«حسناً، حسناً. هل وجدت نفسك بأنك لن تستطيعي النوم في هذا الوقت الباكر؟ مع انني اتساءل، ما الذي جعلك تبقين صاحية حتى الآن؟»

قفزت إلف من مكانها، وسقط بعض من الشراب من الكأس، فغمغمت بغضب شديد: «سفلة.»

قال صاحب الصوت موافقاً: «تماماً، دعيني اساعدك.» ومد يده القوية وتناول قطعة من الاسفنج بينما يده الأخرى امسك بها رسغها. شعرت عندما بدأ ريتشارد بمسح الشراب الذي انسكب، بأنها طفلة في صف الحضانة والمعلمة تقوم بما افسدته، فأسرعت إلف تأخذ الاسفنجة من يده واكملت العمل بنفسها.

ضاقت عينا ريتشارد وهو يقول: «اتظنين ان احدى هواياتي، ان امسح وانظف ما افسده غيري؟»

اجفلت إلف، وقد شعرت من نبرة صوته بأنه لم يكن يمزح معها، بل كان يوبخها. فمن العوائد ان لا ترفض النساء مساعدته لهن.

أجابت بهدوء: «لا، لكنني اعتقد ان لي مقدرة كافية في مسح ما وسخته. وبالاضافة إلى ذلك، لقد كنت استمتع بوقتي بمفردي، شكراً على اية حال.»

هزّ ريتشارد كتفيه بلا مبالاة قائلاً: «في هذه الحالة، فأنا لا استطيع ان امنعك عن مجتمع اعتدت ان تجتمعي به بمفردك.»

ابتعد عنها، فما كان من إلف الا ان امسكت بالاسفنجة وضربته بها بعنف على ظهره وغمغمت بغضب شديد: «يا لك من سافل لعين.»

توقف ريتشارد واستدار إليها، ومشى نحوها وهو يدوس بقدمه على الاسفنجة وكأنها لم تكن موجودة اصلاً على الأرض، ووقف قريباً جداً منها.

قال بلطف: «ما كان عليك ان تفعلي ذلك.»

حدقت إلف في عينيه الخضراوين القاسيتين وشعرت برجفة في فرائصها تمنت لو انها لم تشعر بها. رأته مثيراً ويمتلىء قوة، ووجدت نفسها تريد ان تتحداه وتقف في وجهه ولكنها لا تدري كيف وبأية طريقة.

قررّت أخيراً ان تتجنب منافسته وقالت: «لا، ما كان يجب عليّ ان أتصرف هكذا، لم يكن سوى عمل صبياني وطائش.»

وافق ريتشارد: «نعم. لقد كان عملاً صبيانياً تنقصه الحكمة.»

قطبت حاجبيها قائلة: «ماذا تقصد بذلك؟»

«انني فقط لا أرضى ولا اسمح بوقاحة الأولاد، ولن اقبله منك طبعاً.»

اشتعلت إلف غضباً وقالت: «حسناً، من كل تلك الغطرسة...»

اسرع يضع يده على فمها ليقطع عليها بقية كلامها وجذبها نحوه. حاولت ان تبتعد عنه، ولكنه لم يدعها تفعل ذلك، وشعرت بأنه يريد أن يقبلها.

«حاول ان تتجرأ...»

تجاهل ريتشارد كلامها، وركز تحديقه بوجهها، فرأت في اعماق بحور عينيه الخضراوين تصميم قوي للانتقام منها من قذفها له بالاسفنجة. ولكن كان هناك ايضاً رغبة لتقوم بالذي كان يفكر به.

هزّ كيانها بما توصلت إليه من تفكير وحاولت بجهد لا

طائل منه ان تتجنب معانقته لها، وبدا ذلك مستحيلاً عليها وقد أحكم التمسك بها.

أصبح عزف الموسيقى الآن أكثر هدوءاً ولطفاً، وأخذت تنساب إليها بنعومة مثل الدخان في الهواء. ثم تغير وقع الموسيقى مرة أخرى، وبدأت الفرقة تعزف موسيقى صاخبة ومثيرة. ومض ضوء ثم خبا على وجهها، ثم شعرت بدوران وبفقدان لاحساسها بمكانها وزمانها، فأغمضت عينيها لا شعورياً.

أمسك ريتشارد بمرفقها وانحنى قليلاً ليطبع قبلة على وجنتها. رفع ريتشارد رأسه فجأة وابعده عنها، بينما كانت متعلقة به.

قال مبتعداً عنها: «دفعت الغرامة بطريقة جيدة.»

قالت بسخط: «كيف تجرؤ على ذلك؟»

اصطدم ظهر إلف بسيدة كهلة ساخطة ترتدي ثوباً من النوع الشيفوني.

غمغمت السيدة الكهلة قائلة: «صحيح، انه امر مخز...»

رفع ريتشارد حاجبيه باستسلام للأمر الواقع، وحاول ان يبعد إلف عن الطريق، لكنها عبست في وجهه ومشت متعثرة بخطواتها بين الناس، وأخذت تبحث مرتبكة في حقيبة يدها على محرمة ورق.

سحبت من حقيبة يدها ثلاثة اقلام حمرة، مجموعة من القروش النادرة، مشط مكسور وثلاثة اظافر مستعارة. لكنها ادركت ان ريتشارد كان ينظر بعينين فاترتين في هذه الأشياء التي تفضلها سيدة في ان تكون في حقيبة يدها.

زمت شفتيها وتمنت لو ان الضوء الخفيف في المكان، لا

يساعده في رؤية ما تغير في لون وجهها، وأسرعت تقفل الحقيبة.

سأل ريتشارد: «هل وجدت ما كنت تبحثين عنه؟»

نظرت إليه بتعال، ثم تناولت محرمة ورق عن احدى الطاولات وأخذت تنشم انفها، ثم قالت لريتشارد: «لا، لم أعثر عليه، واذا سمحت لي، فأنا أشعر بالتعب... خاصة من الرجال الذين يعتقدون بأنهم يمكنهم الحصول على أي شيء فقط لكونهم وسيمين وكاملي الرجولة. اسمح لي الآن، فأنا ذاهبة إلى الفراش.»

تمتم ريتشارد وهو يضع يديه في جيب سرواله: «سبق وقلت انه المكان الأنسب لك.» وأخذ يتراجع ببطء، ثم قال ساخراً: «كان هناك سيدة عجوز تعيش في فردة حذاء...»

اجفلت إلف وسألت بغباء: «ماذا؟»

تابع ريتشارد كلامه الساخر: «والتي كان عندها العديد من الأولاد، ولم تكن تدري ماذا تفعل بهم.»

ادركت إلف ما كان يقول فأكملت عنه: «قدمت لهم بعض الحساء لكن من دون قطعة من الخبز...»

قال منهياً قصة الاطفال هذه: «ثم صرخت في وجههم وأرسلتهم إلى الفراش.» وازال شيئاً كان عالقاً في كم قميصه وهو يقول: «كان لهم في الماضي افكار بدائية في تربية الأولاد، أليس كذلك؟ مع انني أرى انه كان من ذلك نتيجة طيبة.»

حملقت إلف في وجهه قائلة: «انني لست طفلة، اذا كان هذا ما تقصده من كلامك.»

«أعرف، ولقد لاحظت ذلك.»

لاحظت فجأة في ملامح وجهه الصارمة، شيئاً لم

يعجبها، وتملكها شعور بالخوف لم تدر مصدره. بلعت بريقها وتراجعت خطوة سريعة إلى الوراء.

«ما الذي يخيفك، يا إلف؟»

تلاشى خوفها، وحل مكانه انفعال مثير وقالت: «أؤكد لك، ان خوفي ليس ناجم عنك، عمت مساءً، يا سيد لاسلو.» واستدارت بسرعة دون أن تنتظر جواباً منه، وأخذت تشق طريقها إلى خارج المكان، غير متأكدة من ان ريتشارد قد يحاول ان يوقفها، ولكنه لم يحاول.

اقفلت باب حجرتها الخاصة بعنف ورمت نفسها على السرير. وشعرت بالسفينة تتمايل بلطف في تحركها البطيء، ثم أخذت تحدق بسقف الحجرة وأخذت تشعر مع الوقت ان ذلك الشعور الذي انتابها منه قد ضمد وانطفأ.

أدركت انه ما من فائدة من الاستمرار بالعداء مع ريتشارد، وانه ايضاً، ليس من المنطقي ان تنجرف منقادة لرغباته. وقد كانت تلك القبلة كمن يدس السم ويجرب حظه في هذا، مع انها التقت به اليوم فقط. هزت رأسها وكانها تطمئن نفسها بأن أشباح الماضي لم تعد تخيفها، والأشباح بالمعنى المجرد ليست حقيقية تماماً مثل الظفرين الاصطناعيين، وعندما تذكرتهما، مدت يدها لتتناول الحقيبة، لكنها لم تجدها إلى جانبها.

اللعنة، لا بد وانها نسيتها في الملهى.

وقفت إلف بملل على قدميها، وسوت من شأنها قبل ان تغادر الحجرة عائدة إلى الملهى الليلي.

كانت الفرقة الموسيقية تعزف لحناً صاخباً يدوي كالرعد، وحالما اجتازت عتبة المدخل، لمحت قوام ريتشارد

الممشوق وهو يراقص ميراندا. تحت الأضواء الخافتة.

كان يلفها بذراعيه، ونظراته تتجه نحو الفرقة الموسيقية، وكانت هي تحيط عنقه بيديها. ثم همست شيئاً في اذنه، فمال برأسه هو الآخر وأجابها همساً.

مسحت إلف عينيها ومشت بسرعة في ظلال المكان، وهي مندهشة من نفسها كيف ان الذي رأته لم يعجبها. وتمهلت قليلاً لترى شفتي ريتشارد تعودان إلى الهمس لملاحظة قامت بها ميراندا، فالتفتت ساخطة واستعادت حقيبة يدها من النادل الذي ناولها اياها دون اي تعليق يذكر، ثم خرجت مسرعة إلى غرفتها.

كان ريتشارد يراقب خروج إلف ويبتسم بينما أخذت ميراندا تثرثر حول امره، كم هو راقص عظيم وكم يجذبها الرجال ذوو القامة الطويلة. وفكر ريتشارد دون أن يشعر بوجود ميراندا إلى جانبه، لقد مضى اثنا عشر شهراً منذ آخر لقاء مع فيليستي، ولا يهمه الآن ما قد يظهر امامه من الجميلات... وتابع ابتسامته بسخرية وهو ينظر إلى صاحبة الشعر الأحمر التي كان يرقص معها.

أخذت إلف تتجول على سطح السفينة بعد ان تناولت فطور الصباح في حجرتها الخاصة، وكان البعض الآخر من المسافرين يمشون الهوينا وهم يشعرون بنشاط كبير. لمحت في زاوية هادئة، جيري بريدجر وجماعة قليلة تمارس رياضة اليوغا وهم يقفون على رؤوسهم، ولولاهم لكان المكان خالياً تماماً. كانت الشمس تشرق من ورائهم، والسفينة كانت محاطة بغيوم المحيط الأطلسي.

وقفت إلى جانب درابزين السفينة متنشقة الهواء العليل.

وتساءلت لماذا وهي في أول صباح لها في البحر تشعر بوحدة وبفتور في همتها.

قطع عليها حبل افكارها بصورة مفاجئة، ثلاث صفارات انذار من السفينة.

غمغمت بسخط، مع تلاشي الصفير عن اذنيها: «سفلة.» جيري ومن معه، عادوا يقفون على اقدامهم. وتذكرت ما قد غاب عن ذهنها بأنه تدريب على قارب النجاة.

أسرعت إلى حجرتها الخاصة، وبعد لحظات وجيزة عادت لاهثة إلى سطح السفينة وانضمت إلى المسافرين. مالت على درابزين السفينة متعبة ومغمضة العينين ثم شعرت بأحدهم يضرب بخفة على كتفها.

جاءها صوت رجل من خلفها: «ان سترة النجاة على ظهرك.»

استدارت لتجد نفسها وجهاً لوجه امام ريتشارد.

قالت بلهجة غير مبالية: «آه، هذا أنت. انها ليست طبعاً على ظهري.» والقت نظرة سريعة على نفسها، ثم قالت: «ام انها كذلك؟»

«ما كنت لأقول ذلك لو انها لم تكن. سأصلح من شأنها.» امسك بكتفيها ثم بمهارة غيّر وضع سترة النجاة، وشد الأحزمة على ظهرها.

بلعت بريقها وتراجعت إلى الخلف بسرعة.

قال ريتشارد وقد لاحظ ما هي عليه: «انك تلهثين مثل السمكة التي خرجت لتوها من الماء. ما الأمر؟»

«لا شيء، كنت قد نسيت كل شيء حول التدريب، وذهبت بسرعة لأحضر سترة النجاة من حجرتي.»

«فهمت.» كان في عينيه كآبة وليس قوة هذه المرة، وأخذ

ينظر إليها بتقييم غير مميز. «لا، عدت وفكرت، لست كالسمكة انما مثل السلطعون وخاصة مع لون سترة النجاة.»

قالت إلف بحدة، والتي كانت تلهث لاسباب عديدة: «لا استطيع ايقاف مزاجي الصعب اذا ثار. كما انني اود ان انكرك بأن عشائنا الليلة الفائتة كان من ثمار البحر.»

زمّ ريتشارد بشفتيه وتحول عنها ليحدق عالياً بالغيوم. قال وهو يضع يديه في جيبي سرواله: «انني أحب طعام ثمار البحر. وأراه شهياً للغاية.»

أخذت إلف تنظر إليه طويلاً، وعندما اخفض ناظريه ورأى تعابير وجهها قال: «لا تنظري إليّ هكذا، فذلك لا يعجبني.»

حاولت ان تفتح فمها لتقول له انها لا تكترث لما يعجبه أو لا يعجبه، لكن وقبل ان تخرج الكلمات من فمها، رأت شفتيه تنفرجان لتبتسمان لها بطريقة مثيرة.

ارتبكت إلف، واستعدت لتقول شيئاً، ولكنها أدركت بأنه لم يعد ينظر إليها. مالت قليلاً، لتتبع اتجاه نظراته، فرأت ميراندا قد ظهرت فجأة على سطح السفينة.

قطبت حاجبيها، وتساءلت كيف ان صاحبة الشعر الأحمر بقيت على حالها من الجمال والفتنة حتى وهي لابسة سترة النجاة المطاطي. ولم يظهر في عينيها اي نوع من التعب والاجهاد ووضعت كل ما عندها من مساحيق التجميل على وجهها.

قالت بنغمة عالية وكأنها ببغاء استرالي: «مرحبا يا ريتشارد.»

«صباح الخير، يا ميراندا. أرى بأن لا مشكلة عندك في ارتداء سترة النجاة.»

نظرت إليه بعينين ناعستين قائلة: «بالمناسبة، لقد ساعدني المضيف على ارتدائها، وكان لطيفاً جداً معي.»

هذا شيء اكيد، فكرت إلف بامتعاض، بينما كانت ميراندا ترفع ذراعها ببطء كي تبعد خصلات شعرها عن وجهها.

قال ريتشارد دون مبالاة: «من دون شك فهذا جزء من عمله.»

نظرت إلف إليه، وهي تشعر براحة مبهمة، فلا يبدو مما قاله لها انه قد امضى ليلته معها...

جاء في تلك الاثناء الضابط المسؤول عن التدريب، ليلقي محاضرة حول الحالات الطارئة التي قد تحدث. أخذ المسافرون يصغون بأدب وهم يرتعشون من هواء الصباح البارد ولما انتهى من محاضرته، اسرع معظمهم إلى داخل السفينة التماساً للدفء. وصفتهم إلف مثل الجماعات التي تهرع إلى الشاطىء لتستمتع بحرارة اشعة الشمس، كما انها لم تكن أفضل حالاً منهم.

ارتجفت ميراندا وقالت مبتسمة: «أترغب بالنزول إلى حجرتي الخاصة لبعض الوقت، يا ريتشارد؟»

قال ريتشارد رافعاً حاجبيه بتعجب: «ماذا؟ بعد ان تناولت البيض المسلوق هذا الصباح؟»

فغرت ميراندا فاها وقالت: «صحيح؟ يا له من قول شاذ.»

«البيض المسلوق؟ شاذ؟ لماذا تقولين ذلك؟»

«حسناً.»

عبست الفاتنة في وجهه بصورة مميزة، وعندما ادرك عبوسها، ابتسم بطريقة ساحرة، فاستدارت هي حول نفسها ثم اسرعت وراء رجل ينتعل حذاءً انيقاً وفي يده ساعة غالية الثمن.

كان ريتشارد وإلف بمفردهما في ذلك الجو الضبابي من مياه الاطلسي، وكانت إلف تنظر بعيداً عنه، ثم أخفت وجهها بين يديها.

سألها بتبرم وهو يرى ارتجاف كتفيها: «ماذا هناك؟»

قالت بتلعثم ويديها ما زالتا على وجهها: «انك... بيض مسلوق...»

تمتم، وهو يضع يده على ذراعها. «انني احب البيض كثيراً.» وأضاف بلهجة حاسمة بينما هي ترتجف: «توقفي عن ذلك، يا آنسة ماكبيس. انك تقهقهين مثل تلميذة صغيرة. وأنا أريد التحدث معك.»

سألته إلف وهي تدخل السفينة: «حول ماذا؟»

دخلا غرفة الاستراحة، ولم يرد على سؤالها الا عندما خلعا عنهما سترتي النجاة ووضعاها جانباً ثم جلسا على كرسيين مريحين قرب النافذة.

أجاب أخيراً، وهو يبتسم بتكاسل: «حول انفسنا.»

تجهم وجه إلف وقالت: «ما قد يكون من أمرنا؟»

وضع ريتشارد ساقاً فوق ساق ونظر إليها قائلاً: «الا تعرفين؟ كنت أظن بأنك سريعة البديهة والادراك.»

«آه، بدأت أفهم.» وضغطت إلف بأصابع يديها الاثنتين وقالت: «أرى انك أنت الذي ليس سريع الادراك والبديهة.»

قال وهو يهز كتفيه دون مبالاة: «لا أظن ذلك.»

قالت بسخط: «لا تظن ذلك؟ ربما يجب ان انكرك، بأن رب عملي قدم لي ترقية من أجل ما تود اقتراحه. فما هو عرضك؟»

الفصل الثالث

خيّم صمت طويل وخطير، كان ريتشارد خلاله يحدّق في وجهها وكأنها انسانة غريبة ومن عالم آخر. ثم قرّر ان يضع حداً لذلك الصمت، فتوجه إليها سائلاً: «وماذا تقصدين بتلك الملاحظة المشكوك فيها؟»

تململت إلف في مقعدها وتملكها خوف شديد من طريقته في النظر إليها، ومن ضغطه على أصابع يدها بشدة. لكنها أجبرت نفسها على تمالك أعصابها وواجهته قائلة: «وما الذي تفسره أنت؟»

تماسكت عضلات وجهه وقال: «أرى انك تتفوهين بكلام كنت أتوقع أن يصدر من فتاة طائشة وليس منك أنت بالذات.»

شعرت إلف وكأنه صفعها على وجهها، وتساءلت، هل انها أخطأت في تفسير كلام ريتشارد؟

كان قد صرّح بأنه يريد أن يتكلم بشأنهما، ولكن كيف ذلك وهما بالكاد تعرفا على بعضهما البعض. ربما يريد أن يقترح عليها نظاماً يقدم فيه كل منهما خدماته الواحد للآخر، وتحصل هي على الجواهر والملابس الفاخرة، وهو يستمتع بوقته. شعرت بجرح عميق وانفعال، لأنها لم تتوقع ذلك منه. وكان قد بدا عليه الاشمئزاز عندما أخبرته ما حدث لها مع رب عملها الذي طلب منها أيضاً خدمات متبادلة...

وضعت يدها على فمها لتمنع نفسها عن التفوه بأنه قد أهانها لتساؤلاتها المشككة.

أخذت تبحث عن كلمات مناسبة تبرر بها نفسها، وتمكنها من معرفة خفاياه. «أنا... أنت... كنت أظن بأنك ستقترح... أعني، تقترح شيئاً بعيداً جداً عن الزواج.» وبلعت بريقها متلعثمة ثم تابعت: «أهذا ما كنت تقصده؟»

زالت الآن الملامح المزدرية والباردة من وجه ريتشارد وبدا كأنه صاعقة قد سقطت على رأسه، لكنه بعد ذلك، هزّ بكتفيه غير مبالٍ وقال بنبرة خلت من أي عاطفة: «كنت أقترح ماذا؟ الزواج؟»

فغرت إلف فاها بغباء وقالت: «الزواج؟» وصدرت عنها هذه الكلمة، كأنها لم تسمع بها قبل الآن.

«نعم، مثل احتفال ليوم الزفاف، وتزيين القاعة بالأزهار الجميلة، كذلك خاتمين من الذهب الخالص، ثم نقرر إلى من نوجه الدعوات إلى هذا الفرح.»

بدت إلف لفترة وجيزة كمن أصيبت بالخرس، فقد كانت نبرة صوته هازئة بها، وخالية من الحماس، لكنها لاحظت توتراً شديداً على شفتيه وعلى أصابع يديه الطويلتين مما جعلها تحتار بأمرها وبتصرفاتها. وتساءلت، هل كان جاداً في كلامه؟ هل كان يقدم لها عرضاً بطريقة غير واضحة؟ وعادت تبلع بريقها، وقررت أن الطريقة الوحيدة للاجابة عن تساؤلاتها، هي أن تواجهه بالأسئلة.

«هل ذلك يعني انك تطلب الزواج مني؟»

اسند ريتشارد ظهره إلى الوراء، ومدّد بساقيه الطويلتين وأخذ يتفحصها من رأسها إلى أخمص قدميها وكأنه يريد أن يتأكد ما إذا كانت قد فهمت قصده.

تكلم أخيراً وقال: «لِمَ لا؟ هل هذا الذي تريدينه؟»

أجابت إلف بسرعة: «ماذا؟ لا، أؤكد لك بأنني ما أردت ذلك. كيف أريد الزواج منك وأنا ما أكاد أعرفك؟»

«ان الذي تعرفيه عني لغاية الآن، لا يعجبك ولا يوافقك؟» وابتسم ابتسامة ضارية جعلتها تقفز واقفة وكأنه سكب عليها ماءً حاراً. وقررت انها اكتفت من تلك المحادثة التي تدور في حلقة مفرغة.

مال ريتشارد نحوها بسرعة البرق وأوقفها ممسكاً بيديها الاثنتين.

«اجلسي واهدئي، لأنني أريد أن أتكلم معك، لا أن أعتدي عليك وعلى مرأى من مئات المسافرين، بما فيهم تشارلز ب. ووتربوش.» قال ذلك، وقد مرّ بمحاذاتهما ذلك الرجل الذي ذكره، وتوجه إلى مكان يقدم الحلويات.

ظلّت إلف صامتة ولم تجد جواباً، وجلست على حافة المقعد ثم أخذت تنظر إليه وكأنها تشك بسلامة عقله.

قال لها: «انك على حق. كونك لا تعرفينني حق المعرفة، ولكن، إذا سألتني أسئلة واضحة وغير غامضة فسوف أجيبك عنها.»

اندهشت إلف ثم تابعت: «أسئلة؟ حول ماذا؟»

بدا غير مبالٍ وقال: «حولي أنا، حسب ما اعتقدت وكنت آمل أن تسالينني من أكون وليس ماذا أكون.»

أجابت بهدوء تام: «هذا أمر مثير للمناقشة.»

«انتبهي لكلامك، يا آنسة ماكبيس، أو قد...»

قالت إلف بعنف: «أو ماذا؟» وسحبت يديها بقوة من قبضته، وقد بدأت تشعر انها ستفقد السيطرة على أحاسيسها... وهذا ما لم تكن تريده.

ابتسم ريتشارد بمكر قائلاً: «او انني قد أسحب ما عرضته عليك. وأرجو منك أن لا ترميننني بتلك النظرات الحادة من عينيك الجميلتين. حاولي فقط أن تتذكري بأنني كائن بشري مثلك، هيا يا إلف، بأسئلتك.»

أخذت إلف نفساً عميقاً، وكان كل ما تريده في هذه اللحظة، أن تنهض وتترك هذا الرجل، فهي لم تعد تتحمل مكائده التي يحيكها لها، لكنها ترددت قليلاً عندما رأت الطريقة التي يرمقها بها، وقررت بانه يتوقع منها أن تتراجع، ولو كانت فعلاً على خطأ.

لذا، فهي لن تتراجع هاربة منه بل ستقاومه حتى النهاية.

قالت متحدية: «حسناً، أخبرني عنك؟ وهل انك... مرتـ...؟»

قال ساخراً: «لا. انني غير مرتبط بأحد.»

«آه، مع كل ذلك... انني لم... انني لم أتصور...» وتوقفت عن كلامها المتقطع، لتبدأ من جديد قائلة بهدوء: «لم أكن أتصور بأنك مرتبط فعلاً.»

لم تعتقد ذلك، لأنه لا يناسب أبداً الطريقة التي تكلم بها عن الزواج، مع انها كانت تعرف بأنها من احدى ألاعيبه.

قالت بخفة: «حسناً، انك انسان حر وغير مرتبط، وفي هذه الحالة، قد أتبنى العرض الذي عرضته عليّ.»

بقي ريتشارد هادئاً ولم يظهر عليه أي انفعال مما قالته له. «تقولين قد؟ وعلى ماذا تعتمدين في موافقتك؟»

تظاهرت إلف بأنها قد أخذت كلامه بعين الاعتبار. قالت متمتمة: «حسناً. تعتمد موافقتي على مدى تأثر واشتياق زوجاتك السابقات لك اللواتي خلفتهن في ماضيك.»

لدهشته لم يقم ريتشارد بأية اجابة، وعندما حاولت أن تنظر في عينيه، وجدته يحدق فيها شارداً وكأنها غير موجودة ولم تطرح أي سؤال عليه. احتارت إلف بأمرها، وكررت عليه السؤال، وبدا لها وكأنه عاد إليها من حيث لا تعلم، ورفع رأسه قائلاً بهدوء: «ولا واحدة. لا، هناك واحدة فقط. ولكنني أؤكد لك بأنها ليست مشتاقة لي ولا لأحد غيري.»

قالت إلف: «انك مطلق إذاً.»

«لا، لقد توفيت زوجتي منذ احد عشر شهراً خلت. ولو أنها ما زالت على قيد الحياة، لكان يوم غد يصادف ذكرى زواجنا لعشر سنوات.»

«آه، يؤسفني ان أسمع ذلك منك. ويا ليتني لم أسألك...» حدقت إلف به بخوف شديد، وكل ما تصوره خيالها عنه غاب واختفى من ذهنها. «هل كنت...؟ نعم، طبعاً كنت كذلك.»

«كنت ماذا؟»

ضغطت على أصابع يدها قائلة: «أردت أن أسألك ان كنت قد أحببتها كثيراً، ولكن من المؤكد...»

قاطعها بنوع من السخرية: «أحببتها؟ هل أنت من الذين يصدقون أوهام الحب؟»

مسح عينيه بيده، عندما رأى إلف تحدق به غير مصدقة وتابع قائلاً بملل: «انني أشتاق إليها، إذا كان هذا ما تقصدينه، وأشتاق إليها أكثر مما كنت أعتقد.»

تأوهت إلف واحتارت في ما تقول بالنسبة لهذا الأمر. ولكنها سألت أخيراً: «ألم تكن سعيداً معها؟» ولم تكن تدري ان كان من الواجب عدم طرح مثل هذا السؤال عليه، لكنها كانت تشعر بأنه يجب أن تعلق بشيء على ما قاله لها.

«آه، كنت وفيليستي سعيدين مع بعضنا وفي غاية السعادة. كانت في أعمالي ومشاغلي، وكان عندها هواية ركوب الخيل.»

«العمل والخيل؟ انه تعريف شاذ عن السعادة الزوجية.»

جاءت نبرة صوته فظة وجافة: «لم آتِ على ذكر شيء من السعادة الزوجية. كان لنا علاقة عملية جيدة وكنا صديقين، كما اننا كنا نعرف بعضنا منذ نعومة اظفارنا، وتوقع لنا بالزواج كل من عرفنا.»

«لا يفعل كل الناس عادة ما يتوقع منهم الآخرون ان يفعلوه.» ولم تضف إلف.. خاصة أنت، بل قالتها في نفسها.

«هذا صحيح، لكنني توقعت ذلك لنفسي قبل أي شخص آخر.»

قطبت إلف حاجبيها مفكرة، بأن ما قاله الآن لم تدركه. فقد خسر ريتشارد زوجته التي كان يعرفها معظم أيام حياته، وكان سعيداً معها... ولكنه كان يتصرف وكأنه قد أضاع كلب صيد عوضاً عن زوجة محبة أو صديقة كما يدعي. فهل كان يخفي ألماً عميقاً يصعب عليه أن يبوح به؟

سألت إلف: «ما الذي... ما الذي حدث لفيليستي؟»

«لقد سقطت عن صهوة حصانها. انها النهاية التي كانت تطلبها دائماً لنفسها.»

«آه كم هذا...» كانت إلف على وشك أن تقول، كم انه أمر رهيب، لكن الكلمات تكسرت على شفتيها عندما بدا لها ان ريتشارد غير متجاوب معها كلياً.

«لقد كانت صدمة بالنسبة إليّ. ولكنها لم تدم طويلاً.»

هزت برأسها آسفة وقالت: «انني آسفة فعلاً.»

«أعرف تماماً بأنك فعلاً هكذا.» ونظر إليها بحزم

وبطريقة أدهشتها وأرعبتها، وتابع يقول: «لأنك من ذلك النوع من النساء.»

«انك لا تعرف من أي نوع من النساء أكون.»

«لكنني أعتقد عكس ذلك. لأنك مستقلة وشائكة مثل وخز القنفذ، كما انك وحيدة أيضاً، ووخزاتك تخترق بخطورة القلب الضعيف والرقيق. ولا تطيقين ان تري انساناً يتلقى الذل والمهانة، بما فيهم أنا. لكنك مرنة، وأشهد لك بذلك، وربما مغامرة أكثر مما تعرفين عن نفسك.»

قالت إلف بنوع من الجفاف: «شكراً لتحليلك هذا.» وشعرت بأنها جرحت في صميمها، وتساءلت في ما لو كان محقاً بكلامه.

كان ريتشارد يتأملها عندما حولت ناظريها إليه وكأنه طبيب نفساني يحاول أن يعرف خفايا مريضته أكثر. وبدا عليه الآن الراحة والثقة أكثر من قبل.

حوّلت وجهها عنه، وارتجفت من العوامل المتضاربة في نفسها التي لم تعرف سرها.

شعرت في الحال بأصابع يده تلمس ذقنها ثم رفع وجهها نحوه وقال لها بلطف: «ليس من داع لخوفك مني. لا أعتقد انه يجب أن تستمري بهذا الخوف.» أرادت أن تبتعد عنه، ولكن عينيه الخضراوين أسرتاها وأبقيتاها في مكانها. همس بصوت خافت، كأنه يكلم نفسه: «انك فتاة صلبة، أليس كذلك؟ لكنك ناعمة ولطيفة عندما تريدين ذلك.»

قالت إلف، وأخذ قلبها ينبض بشدة: «لا تفعل. لا تفعل، يا ريتشارد.»

«لا أفعل ماذا؟» وكان قد أزاح يده إلى خلف رأسها، يداعب خصلات شعرها الأجعد.

«لا تفعل... لا تفعل...»

قال بنعومة: «تعنين أن لا أقبلك؟ إلف، هل تدركين انك بسهولة تدفعين برجل عاقل إلى الجنون؟»

وهل كانت لديه أدنى فكرة بأنه كان يدفع امرأة عاقلة إلى الجنون أيضاً؟

«أنا... أنا...» ولم تستطع أن تنطق بكلمة، لأنه أسرع يقبلها بلطف.

رفعت إلف يديها وألقت بها على كتفيه لتدفعه عنها، لكنها لم تستطع مقاومته.

ابتعد ريتشارد عنها أخيراً وهو يرفع خصلة من شعرها الأجعد عن جبينها قائلاً: «أعتقد ان ما جرى كان خارجاً عن ارادتنا، أليس كذلك؟»

هزّت إلف برأسها موافقة، وهي عاجزة عن النطق، ورأت ان زاوية من زوايا هذه القاعة، لم تكن خالية من الناس كما اعتقدت. فقد كانوا ينظرون إليهما سراً، البعض يبتسم مشجعاً، والبعض الآخر قطب حاجبيه مستنكراً. تورد وجهها خجلاً عند ذلك، وشعرت بعدم ارتياح لهذا الموقف، وكانت تعلم ان ريتشارد لو كان على معرفة بعيون الفضوليين لما كان قد اكترث البتة. رأت فمه الجميل يلتوي مغطرساً، وعينيه كانتا باردتين.

تراجع خطوة إلى الوراء وقال لها مقترحاً: «ما رأيك لو سبحنا قليلاً؟ لنذهب إلى حجرتي الخاصة، ولا أعتقد بأنك ستمانعين، كما انه الخيار الوحيد الذي أستطيع أن أفكر به الآن من أجل أن آخذ حماماً بارداً ومنعشاً، هل تأتين معي؟»

فغرت إلف فاها مندهشة وقالت: «حدّد ما تريده، حمام

في حوض السباحة، أم حمام في حجرتك؟» سألته ذلك دون أن تفكر. ولما رأت حاجبيه يرتفعان بتعجب، أضافت بسرعة: «كنت على حق بممانعتي.»

لوى ريتشارد بشفتيه قائلاً: «هل هناك دشاً في حجرتك الخاصة؟»

احتارت إلف في أمرها وقالت مرتبكة: «لا، أقصد، نعم، لكن...»

«آه، في هذه الحالة، أقترح أن نأخذ دشاً.»

«فكر بأمر آخر، فأنا لا أؤيدك في ذلك، يا ريتشارد لاسلو.»

قال بلا مبالاة: «حزرت بأنك ستقولين ذلك. هذا لا يهم على أية حال، فأنا رجل أصبر كثيراً، وعادة أنال ما أريده في النهاية. وافيني بعد عشر دقائق إلى حوض السباحة.» وأدار ظهره مبتعداً عنها، وعنده ملء الثقة بأنها ستقوم بما طلبه منها.

كانت بعد أربع دقائق في حجرتها الخاصة تتناول ثوب السباحة من الخزانة، وهي تفكر بحسرة أنها لم تتعلم فن وأصول العوم. ويعود اهمالها لهذا، انها كانت منذ صغرها تخشى المياه والعوم فيها. وقد قال لها طوني مرة، انها تبدو مثل الضفدعة في تحركها في الماء، لكنه كان سيغيّر رأيه لو شاهدها بهذا الثوب الجديد للسباحة الذي اختارته مؤخراً...

ارتدته وأخذت تتأمل شكلها في المرآة، ثم دارت من جانب إلى جانب لترى ان كان شكلها متناسقاً، ثم ربتت على معدتها وتساءلت في ما لو تستطيع أن تمتنع عن تناول الحلويات التي تقدم بعد الوجبات حتى نهاية رحلتها هذه، فمن الممكن أن يتناسق جسدها أكثر.

سألت نفسها وهي تشعر بالاشمئزاز، ومن هو الذي تحاولين اغوائه بعملك هذا؟ ووضعت منشفة بيضاء طويلة

على كتفيها، ثم تنهدت، لا معنى للإجابة عن سؤال تعرف جواباً واضحاً ومسبقاً له.

وصلت إلف إلى حوض السباحة وهي ما زالت غاضبة من نفسها، وتشعر أيضاً ببعض الندم على طاعته. ربما ان ريتشارد اعتاد على أن يحصل على ما يريده، أما هي فلم تعتد أن تتلقى أوامر من أحد ما. كان شيء ما في داخلها يحذرها بأنه من الخطأ أن تتورط معه بعلاقة حب. وكانت قد أقسمت وفي أوقات كثيرة أن لا تتورط مع أي رجل، انما كان هناك شيء مميز في هذا الرجل...

نظرت إلف في مياه حوض السباحة وكأنها تبحث عنه لترى ان كان هناك مجال للتراجع عن عزمها. وبينما كانت تفتش بعينيها عن الرجل الذي قبلها منذ وقت قليل، وقع نظرها على ميراندا الرائعة الجمال ترتدي ثوب السباحة المثير جداً. كانت تستلقي على الكرسي، وكانت عينا كل رجل ـ وكل امرأة ـ تركز بصرها عليها بشعورين مختلفين، شعور يأمل ويتمنى، وشعور تأكله الغيرة والحسد منها.

تنهدت بهدوء، فمن ناحيتها هي، لم تكن تشعر بشيء من الحسد والغيرة منها، بل كان شعوراً ممزوجاً بالكآبة والندم. كانت صاحبة الشعر الأحمر فاتنة ورائعة ولا يمكن أن تنكر ذلك... ساقاها طويلتان وجسدها ممشوق ورشيق وباختصار تملك كل المقومات والشروط لجمال المرأة.

سألها ريتشارد: «أتعدين النجوم؟»

أجابت إلف بسطحية: «أظن ذلك، وكذلك يفعل كل شخص آخر.»

تحرك ريتشارد ووقف إلى جانبها تماماً، وكان يرتدي هو الآخر ملابس السباحة.

أخذ ريتشارد يتأمل قوامها النحيل، وضاعت هي في لحظات عابرة في بحر عينيه الخضراوين.

تراجعت خطوة إلى الوراء وكأنها تنبهت انها في مكان عام. أمسك ريتشارد بذراعها، ومشى معها إلى حافة بركة السباحة. وفي اللحظة التي كانت تفكر فيه وفي عينيه الساحرتين، دفعت بهما فتاة صغيرة إلى الماء، وسمعت ريتشارد يضحك بمرح لذلك.

أخذت الفتاة الصغيرة تسبح مبتعدة عنهما وهي تضحك ساخرة منهما، بينما كانت إلف تلهث بخوف شديد، انها لا تحسن السباحة وبعد عياء شديد تمكنت من الامساك بحافة المسبح.

فكرت في نفسها، يبدو انني أبدو كمولود جديد، وأخذ خوفها يتلاشى بعد لحظات وهي مطمئنة لتعلقها بحافة المسبح. ولكن، حتى ثوب البحر الأنيق الذي ترتديه، قد لا يستطيع أن يخفي عن العالم خوفها الشديد من الماء. انما العالم ليس يعني ريتشارد، حاولت أن تقنع نفسها دون ايمان راسخ عندها، وكان ريتشارد في هذه الأثناء يسبح متجهاً نحوها بخفة ورشاقة.

قال لها ريتشارد عندما أصبح قريباً منها: «عليك عاجلاً أم آجلاً أن تتوقفي عن التمسك بحافة المسبح.»

ابتعدت إلف عنه قليلاً قائلة: «ألم أقل لك انني لا أعرف العوم؟»

قال ريتشارد ساخراً: «بعد كل تلك السنوات، ما زلت لا تعرفين العوم؟ لا تكوني سخيفة، طبعاً تستطيعين العوم.»

عندما بقيت متمسكة بحافة المسبح بعناد، قال لها بنفاد صبر: «تعالي، سوف أعلمك العوم. والآن، أود أن لا أسمع كلاماً سخيفاً مثل، لا أستطيع العوم.» سحبها من يدها ثم

تابع يقول: «ما عليك سوى أن تتبعي ارشاداتي وتبقي رأسك دائماً في الماء...»

صرخت إلف برعب شديد: «لا.» مما جعل الرؤوس تستدير نحوها، ثم قفز شخصان بمرح في الماء وأخذا يسبحان نحوهما.

قال ريتشارد بحنق وهو يمسك بها مهدئاً: «ماذا بكِ؟ فأنا لن أؤذيك، هل تفهمين؟»

كانت تحاول التراجع عنه وقد ظهر الرعب الشديد في عينيها الواسعتين وهي تقول: «لا، أرجوك، لا تفعل...»

زم ريتشارد شفتيه وأخذ ينظر إلى وجهها الشاحب والخائف، ثم قال: «توقفي عن ذلك.» وفكر في انه يجب عليه أن يبدد مخاوفها التي تصدر من دون وعي منها. «توقفي عن ذلك في الحال، يا إلف. فأنا لا أريد أن أغرقك في الماء.»

رأى عينيها تتسعان من جديد قائلة: «تغرقني؟» وحدقت به وكأنها في حالة تنويم مغناطيسي. وأخذت تتكلم بتقطع لاهث: «لا، أنا آسفة، وأعرف تماماً انك لن تفعل ذلك...» ومسحت عينيها بيدها وتابعت تقول: «تذكرت الآن، انك ريتشارد، الذي كان قد سحبني من الماء... في ذلك اليوم من نهر اشبرتون كريك...»

الفصل الرابع

قال ريتشارد: «اللعنة.»

وقالت مستفهمة من ريتشارد وبصوت خافت: «هل أنت ذلك الفتى الذي كان يعيش بجوارنا؟ منذ ان كنت في السابعة من عمري؟ ولكن إسمك لم يكن لاسلو.»

«نعم، كنت أنا. ولكن معك حق، فالأكثرية كانوا ينادونني باسم والدي المستعار، كنت اتساءل طوال الوقت متى ستتذكرينني.»

«وتمنيت أنت ان لا اتذكرك.» ارتفع صوت إلف بعض الشيء وقد تلاشى خوفها الشديد. انها في المحيط الأطلسي الآن وليست في نهر صغير. كما ان ريتشارد لم يحاول ان يسبب لها اي نوع من الأذى. ونظرت إلى عيون المتطفلين وهم يتخبطون بغباء في الماء، وادركت انها هي الأخرى تصرفت بغباء، وحنقت على نفسها ثم شعرت بالانزعاج من نظرات ريتشارد.

«لا، ابداً، لم اطلب ذلك، ولكنني كنت احاول ان اقول لك منذ ساعة تقريباً، ولكنك اسأت فهم ما كنت اقصده، وكانت جدتي تسمي ذلك خطأ بالتفسير.»

قالت إلف مندهشة: «تعني... آه، لا! اردت عندها ان تكلمني بشأن ذلك؟»

«نعم كنت فعلاً كذلك. لكن يبدو ان ذهنك اتجه إلى مكان وجدته... ممتعاً ان كان بالامكان تسميته كذلك. لكن ليس

ممتعاً على اكمل وجه. واقترحت بعد ذلك، ان كنت غير مخطىء في تقديري، اقترحت صلة وثيقة ودائمة.»

«آه.» تأوهت إلف كردة فعل لنبرة صوته الساخرة، ثم احنت وجهها ودفنته بين يديها.

لو كلمها ريتشارد بوضوح منذ البداية، لماكانت وصلت إلى هذا الوضع من الغباء والبلاهة في تصرفاتها، ولما كانت الآن تقف في الماء وهي الوحيدة التي لم تعرف العوم بين الجميع الذين كانوا يسبحون حولها بمرح وبهجة.

سألت بحدة وكأنها تريد الاصطدام والتشاجر معه: «لماذا لم تقل لي ذلك مباشرة؟» ورفعت يديها عن وجهها واخذت تنظر إلى ريتشارد شزراً، الذي كان ينظر بدوره إليها بابتسامة لا معنى لها.

لم يجبها في الحال، ولكنه عندما اجاب، لاحظت إلف بأن نبرة صوته كانت سطحية وبصورة غير عادية، وكان قد قال: «ان الذي اذكره تماماً منذ آخر لقاء بيننا، قلت لي في ذلك الوقت انك لن تتكلمي معي بعد اليوم.»

«لكنني كنت في الحادية عشرة من عمري.»

«أعرف، ولكنه كان سن غاضب. فكرت بعد ذلك ومن جراء ما كان بيننا، ان تدركي بنفسك أنه تصرف غبي.»

لقد تذكرت الآن، إن ريتشارد على حق عندما قال انه تصرف غبي منها. لأنه وحسب ما اخبراها به والداها، ان ريتشارد قد خلصها من الموت، وبادلته ذلك بأنها رفضت التكلم معه.

حدقت في المياه الزرقاء وقالت: «تذكرت الآن كل شيء. اتذكر انك كنت تركض ورائي، لأنني كنت اناديك باسماء لم

تعجبك... واستطعت ان تمسك بي، ولكنني سحبت نفسي سريعاً منك وسقطت في ذلك النهر، بعدما انزلقت قدمي بالاعشاب المبللة. وكنت في حالة خوف وصراع احاول النجاة من سقطتي هذه، وبعد ذلك لم اعد ارى امامي ولم اعرف ما حصل بعد ذلك، واخبرني والدي بأنك قفزت إلى النهر وسحبتني منه بسرعة، وانعشتني بواسطة التنفس الاصطناعي.»

«لكنك لم تصدقيهم.»

قالت وهي تستعيد بذاكرتها ما حدث لهما في السابق: «اظن انني صدقتهم، لا ادري، ذلك لأنني كنت ما زلت في حالة رعب شديد من تلك السقطة في النهر، وصببت لومي وحقدي عليك. فقد كنا نتجادل في أمر ما وكنت شديد الغضب معي وعنيفاً. ولكنني اقولها بصدق، انكر أنني انا التي دفعتك إلى تلك الثورة والجنون، لكنني وفوق كل ذلك بقيت حانقة وغاضبة منك.»

قال بلهجة جافة: «أعرف تماماً أنك دفعت بي إلى الثورة بقوة. ولكن هذا لا يعني في ان أتركك تغرقين في النهر.»

«لا، طبعاً، انني واثقة من ذلك. وكان عليّ أن اشكرك عوضاً عن ان امتنع عن رؤيتك.»

«نعم، هذا ما كان يجب ان تفعليه.»

سألته ببطء: «ماذا حدث بعد ذلك؟ فأنا لا اذكر أنني عدت ورأيتك مرة ثانية.»

«نعم، ذلك لأنني عدت إلى بريطانيا مع والديّ بعد يومين من تلك الحادثة. ولم تتكلمي معي، حتى لم تسمحي لي بأن اودعك.» وخيم السكون البارد والسأم عليهما، وخلا من أية احاسيس.

كانت إلف في تلك اللحظة عابسة وقد عاد إلى ذاكرتها كل

ما كان وحصل، فقالت معتذرة: «انني آسفة فعلاً، واذكر انني ندمت كثيراً بعد ذلك، واحسست... بالشوق اليك.»

«لا تهتمي لذلك، فقد كنت طفلة صغيرة.»

«كذلك كنت انت، في سن الخامسة عشرة، لا يعتبر سناً ناضجاً. لا بد وانني جرحت شعورك بطريقة بشعة.»

هز كتفيه غير مبالٍ وقال: «كنت افضل ان اسمع منك عرفاناً بالجميل، لكنني تناسيت ذلك، عندما سمعت الجميع يقولون انني كنت بطلاً وشهماً، لذلك لم اشعر بانني جرحت بكبريائي.»

«هذا لا يدهشني ابداً، فهل جرحت مرة بكبريائك؟»

نظر ريتشارد نظرة عاتبة وساخطة، جعلت من إلف تشكر حظها بأنهما ما يزالان مراقبين من مسافة ليست بعيدة. وقال لها: «نعم، فقد طعنت بكبريائي عدة مرات، وذلك عن يد فتاة جريئة ومؤذية لا تهاب شيئاً، حتى جاء اليوم الذي وقعت فيه في النهر.»

أخذت إلف كلامه بعين الاعتبار وقالت: «حسناً، اوافقك على ذلك، لكن الذي لم افهمه بعد، لماذا لم تعرفني بنفسك عندما التقينا بعد تلك المدة الطويلة؟»

«لم أر اي موجب لذلك في البداية، خاصة وانه قد تهيأ لي بأن ذاكرتك ضعيفة ومشوشة، ومن المرجح ان تسبب لك الاحراج في ما لو اكتشفتها.»

«يقلقك ذلك؟»

«لا، ابداً، لأنك تستحقين ذلك الاحراج، ومع ذلك لم اكن ارغب ان استعيد صور الماضي مع فتاة حادة اللسان والتي...»

قاطعته إلف: «التي قد ترفض رؤيتك مرة أخرى.»

«همم، شيء من هذا القبيل، ولهذا غيرت رأيي ولم اعرفك بنفسي.»

«لماذا؟»

وضع ريتشارد يده على كتف إلف قائلاً: «اعتقد لأنني اردت ان احصل على مكافأة لبسالتي وشجاعتي عندما انقذتك من الغرق.»

انتفضت إلف بسرعة بعيداً عنه وقالت بحنق: «يمكنك ان تنسى...» وتوقفت مدركة انه فعلاً يستحق الشكر والاعتذار عن الانفعال الذي ابتدعته عندما كان يحاول ان يعلمها العوم، انها تعلم ان اعتذاراً من هذا النوع قد يربك ويحرج رجلاً اقل شأناً منه واحتراماً.

قالت بوقار ورزانة: «اشكرك من كل قلبي، وآسفة لأنني تأخرت كثيراً عن اليوم الذي خلصتني فيه من الغرق. كما وانني آسفة لذلك الانفعال والثورة تجاهك عندما بدأت تعلمني العوم، والسبب كان، انه عندما طلبت مني ان ابقي رأسي تحت الماء، عادت بي ذاكرتي فوراً إلى اليوم الذي كدت اغرق فيه. كنت ظننت انني نسيته تماماً وكأنه لم يحدث، وللحظة وجيزة شعرت بأنني رجعت طفلة من جديد وسقطت في النهر ثم أمسكت بي وأنت غاضب اشد الغضب.»

قال مبتسماً: «آه، طبعاً لقد كنت غاضباً منك كثيراً.»

رفعت حاجبيها وهي تأمل ألاّ يبدوان له مقطبين وقالت: «حسناً، وبما اننا الآن اصلحنا الأمور في ما بيننا...»

«عن أي اصلاح تتكلمين؟»

اخذت إلف نفساً عميقاً وقالت: «لأنك انقذت حياتي من

الغرق، ولأنني لم احفظلك هذا الجميل في الماضي.»

قال ملمحاً: «انه اهمال منك فعلاً، ولكن يمكن تصحيحه دائماً وفي أي وقت. كما وانه يفرحني جداً ان أرى فيك بعض التذلل لي.»

تقدم منها وهو ينظر إليها نظرات ذات معنى، تحركت إلف بسرعة وابتعدت عنه قائلة بعنف: «لا تلمسني.»

قال ريتشارد بنبرة تدل على عدم الصبر: «لِمَ لا؟ ألا تريدين ان تتعلمي العوم؟ ام أنك ترتدين ثوب السباحة الأصفر هذا من أجل اهداف اخرى؟»

قالت إلف: «لا. اعني، لا، اريد ان اتعلم العوم، واريدك ان تعلم جيداً، ان ثوب السباحة هذا لا يشوبه شائبة.»

«هل قلت عكس ذلك؟»

«لا، لكنك تنظر إليّ وكأنني...»

قال ريتشارد مستفهماً: «نعم؟»

«كأنني...» ابتعدت إلف عنه من دون ان تدعه يلمسها.

نادى عليها بلهجة آمرة، ومد يده نحوها: «عودي إلى هنا.»

قالت بحزم، وكأنها اكتفت مما جرى في هذا اليوم: «لا، يجب ان اغسل شعري.» وأخذت تصعد درجات المسبح متعثرة بخطواتها ولم تكلف نفسها وتنظر إليه مرة أخرى.

سمعت من ورائها ضحكة ريتشارد الساخرة تبعتها قهقهة غير متوقعة ومميزة من ميراندا.

تجهم وجه إلف وانحنت تتناول منشفتها التي سقطت منها إلى الأرض، واسرعت متوجهة إلى اقرب مصعد.

شعر ريتشارد في هذه الاثناء بيد ميراندا تلامس كتفه، ازاحها عنه من دون ان ينظر إليها، وغطس بسرعة تحت

الماء، وعندما برز رأسه من الماء، وجد بأن رائعة الجمال تسبح بخفة نحوه.

قالت ميراندا ساخرة: «يا لها من فتاة غريبة.»

«نعم، اليست فعلاً كذلك؟ فتاة فوق العادة.» اجابها بهدوء، متجنباً الدخول معها في أي تعليق آخر، لأنه لم يرغب في تلك اللحظة ان يتحدث مع ميراندا وبالأخص، حول طفولته، لقد كانت تبتسم له بعذوبة وكأنها تحاول ان تنصب له فخاً مرة أخرى.

قالت بغنج ودلال: «أود ان اتناول كأساً من الشراب.»

«أنا ايضاً.» وافق معها وهو يتذكر تعليق إلف، بأنه مغفل ويجعل من نفسه لقمة سائغة.

قطب ريتشارد حاجبيه قليلاً وخرج من الماء.

كانت إلف في حجرتها الخاصة تحدق بوجهها في المرآة وتستعيد في ذهنها كل ما حدث لها ومنذ وقت قليل مع ريتشارد. وهزت برأسها، فتناثرت قطرات الماء على سجادة الحجرة.

احست ان كل ما يحدث وما يدور، فوق تحملها وطاقتها، فهي لا تريد ان تنقاد لرجل مستبد له سلطة عظيمة ويريد ان يفرضها عليها بالقوة. تذكرت كم ارتبكت عندما ادركت بأنها اخطأت فهمه وقصده، وكذلك الذكرى المفاجئة لما حدث لهما في الماضي، وأنه اخفى ذلك عنها ولم يحاول مرة ان يكشف لها عن هويته ـ وحضور ميراندا المفاجيء دائماً، يجعل من الواقع أكثر سوءاً وخطورة... كل هذه الأمور فوق طاقتها وتحملها.

كانت في بعض الأحيان، تشعر بأنها مهرجة السفينة

بالنسبة لريتشارد، انها توفر له كل انواع المرح والتسلية.

تمتمت بحنق مع صورتها المنعكسة في المرآة: «يجب ان اتوقف عن كل ذلك. ويكفي ما جرى لغاية الآن.» لكنها لم تدرك كيف يجب ان توقفه، مما جعلها تقطب حاجبيها بغضب شديد وتبدأ بنزع ثوب السباحة عنها.

تساءلت هل مضى فعلاً خمسة عشر عاماً عندما كانت تلك الفتاة التي تصرخ بخوف وارتباك لتبتعد من قبضة ريتشارد الثائر عليها ومن ثم تتعثر بخطواتها وتسقط في النهر؟

تذكرت ايضاً اليوم الذي جاء ريتشارد فيه مع والديه ليسكنوا في جيرتهم، بعد ان اختصرت رواية والده وادخلت في سينما هوليود. كان روجر لاسلو، اي والد ريتشارد، يريد ان يشرف على انتقال النص لروايته من الورق إلى الشاشة الكبيرة، لذا انتقل مع زوجته وابنه إلى لوس انجلوس لأجل ذلك. كانت وقتها إلف قرب النافذة تراقب نزول ريتشارد من سيارة الأجرة، وأخذت فوراً بابتسامته الواهية. وبعد ذلك، اصبحت عائلتي لاسلو وماكبيس اصدقاء. وبالرغم من فارق السن ما بين ريتشارد وإلف، فقد ألّفا ثنائياً أشبه بارتباط غير مقدس على حد قول العائلتين احياناً.

أمر غير مقدس بالفعل، فكرت بسخرية والم، ورمت المنشفة جانباً وارتدت ثوبها الرياضي الأصفر. لقد اعتبرت الأمر غير مقدس أكثر من ذي قبل، لأن ريتشارد لم يعد فتى صغير السن، ولكنه اصبح رجلاً ناضجاً، وقد سبق وتزوج لتسع سنوات خلت. كان طوني رجلاً متزوجاً هو الآخر، واية امرأة تسمح وتعيد التاريخ نفسه، تكون فعلاً غبية حمقاء.

قالت منذرة نفسها: «هذا يعني، من الآن فصاعداً، يجب عليك يا إلف ماكبيس، ان تحافظي على ادبك واتزانك وان تبقي على بعد مسافة قليلة من ريتشارد لاسلو.» ثم خرجت من حجرتها الخاصة.

شعرت بعد ان فكرت في هذا القرار، انها بدأت تشعر بفراغ وكآبة في قلبها. ورأت نفسها بعد عشرين دقيقة وجهاً لوجه مع الرجل الذي قررت ان تبتعد عنه وتتجنبه. كان يرتدي سروالاً ابيض اللون وقميصاً قطنياً، بدا نحيلاً ومثيراً، مما اضطر إلف ان تذكر نفسها بما قررته بشأنه، وكانت ميراندا تلتصق به تماماً. تبخرت قرارات إلف عندما وقع نظرها على صاحبة الشعر الأحمر.

قالت إلف باشراق: «مرحباً.» ووقفت امامهما قاطعة عليهما الطريق.

قطبت ميراندا حاجبيها، بينما أخذ ريتشارد يتأملها بنظراته من رأسها حتى اخمص قدميها، وسألها ملمحاً: «هل انتهيت من غسل شعرك؟»

ادركت إلف انه لا مجال للتظاهر بعكس ذلك، فقد كان شعرها جافاً وبقي على حاله منذ مغادرتها المسبح.

قالت رداً على سؤاله: «غيرت رأيي.» لقد فهم ريتشارد طبعاً بأنها تعللت بغسل شعرها هرباً منه، وتمنت لو ان تلك الحيلة انطلت عليه ولم يدركها.

قالت ميراندا بلطف وقبل ان تتمكن إلف من الاجابة: «انني ذاهبة مع ريتشارد لنتناول كأساً من الشراب يا إلف، لذا، إذا سمحت و...» وتوقفت عن الكلام كي تفهم إلف ما لمحت به وللتتحرك من امامهما.

ان هذا الأمر قد اثار حماس إلف، حيث قالت: «آه، كأس من الشراب، هذا فعلاً ما احتاجه الآن، هل يزعجكما لو رافقتكما؟»

اجاب ريتشارد: «بكل سرور.» ومد يده نحوها فأمسكتها وهي تشعر فجأة انها غبية حمقاء.

بدا متململاً أكثر من ان يكون مسروراً، وتمنت إلف لو انها بقيت صامتة ولم تتفوه بكلمة بدلاً من ان تقحم نفسها بشؤونه الخاصة.

قالت لاهثة، بينما كان ريتشارد يخطو خطوات واسعة في الممر والفتاتان تحاولان جاهدتين اللحاق به والبقاء قريبتين منه: «من ناحية اخرى. ربما، لا أريد ان...»

قال ريتشارد مبتسماً ابتسامة ذات معنى قائلاً: «ما الذي لا تريدينه؟ لا تريدينني انا؟ اذاً لا تقلقي، فأنا لست في لائحة المشروبات.»

أخذت إلف نفساً عميقاً وتحاملت على نفسها كي لا تصفعه على وجهه وقالت: «لم افكر بأنك قد تكون في اللائحة.»

«عظيم، توقفي عن التصرف بالذي يصوره لك عقلك بانني سألتهمك. لأنني افضل طعامي في طبق، كما ان ميراندا قد يعجبها ذلك، ما رأيك يا ميراندا؟»

دلت ملامحها بأنه لا يهمها ما قد يكون من إلف، شرط ان تظل بعيدة عنهما وقالت: «لكن، يا عزيزي ريتشارد دع إلف وشأنها ان كانت لا تريد ان...»

قال لها مستهزئاً: «تتفوه إلف عادة باشياء لا تعنيها بالمفهوم الصحيح، يا ميراندا.»

ابتسمت ميراندا الفاتنة ابتسامة واسعة وقالت بتوسل: «ارغب جداً بشرب شيء ما، ارجوك.»

«طبعاً.» ساعدها ريتشارد كي تجلس على الكرسي، ثم سحب كرسياً آخر من أجل إلف، وتقبلت منه ذلك وهي تأمل انه قام بذلك رغبة ومحبة بها لأنها خسرت كثيراً من كرامتها في هذا اليوم. وقالت فجأة: «ارغب بكأس من عصير الليمون المنعش.»

«اختيار ممتاز، وقد ينعشك فعلاً. وماذا ترغبين أنت يا ميراندا؟»

قالت ميراندا: «اريد عصير الليمون ايضاً.»

بدأت إلف تشعر أنها اقل غباء. بينما رفع ريتشارد يده يشير إلى النادل كي يأتي إلى ناحيته.

قالت ميراندا بعد ذلك: «اخبرنا شيئاً عن ذاتك، يا ريتشارد، وكيف تتصل بعائلة لاسلو التي تقيم في شارع بوند في لندن؟» وأدارت كرسيها كي تحجب عنه رؤية إلف.

أخذ ريتشارد يحرك كرسيه لجهة اخرى كي يتمكن من رؤية وجه إلف، وقال: «نعم، تستطيعين ان تقولي انني اتصل بهم.»

غيرت ميراندا وضع كرسيها مرة أخرى ومالت إلى الأمام قليلاً وقالت: «آه، لا تقل انك السيد لاسلو اياه؟»

«نعم، ان كنت تعنين بالسيد لاسلو ذلك المالك الحالي الآن.»

«آه.» عادت تتأوه صاحبة الشعر الأحمر وكأنها لا تصدق انه هو فعلاً ذلك الرجل الذائع الصيت وتابعت تقول: «يا لها من مصادفة مدهشة، كما انني اعرف عنك بأنك عبقري في تقييم وتسعير الأحجار الكريمة.»

«لست أنا العبقري في الحقيقة، انما هو عمي الذي أسس

هذه المهنة سابقاً، وكان يعتبر ذلك العبقري الذي تتحدثين عنه.»

قالت ميراندا متظاهرة بالأسف الشديد: «آه، نعم. لقد توفي، اليس كذلك؟ وذلك منذ عدة اعوام على ما اظن.»

«نعم.»

«وترك لك ذلك العمل؟»

«هذا صحيح، فلم يكن له اولاد ليرثوا هذا النوع من العمل، ووالدي لا يهتم إلا بتأليف الروايات.»

صفقت ميراندا بيديها ضاحكة كأنها طفلة ساذجة: «يا لك من رجل محظوظ فعلاً.»

قال ريتشارد بنبرة هادئة متحضرة: «لم أفكر بذلك عندما فارق الحياة. لقد علمني عمي جوليان اصول ومبادىء ذلك العمل، وكنت اعتبره صديقاً وشريكاً لي، ولذلك لم اعتبر وفاته شيئاً يجب ان احتفل به لأرث اسمه وشهرته.»

تلعثمت ميراندا وهي تقول: «انني... انني لم اقصد...» وظهر على وجهها كأنها تبحث عن طريقة تصحح فيها زلة لسانها.

حاولت إلف ان تخفي ابتسامتها لموقف ميراندا المربك، وهي تفكر بأن والديّ ميراندا قد يقعون فعلاً على زوج لابنتهما له مركز مرموق، انما المضحك في الأمر ان ابنتهما كانت تتوقع لنفسها ثراء كاملاً لا نهاية له.

فهمت إلف الآن، أي نوع من الرجال كان ريتشارد، وليس كما كانت تعرفه في طفولتها، وعرفت ايضاً بأنه احد اشهر بائعي المجوهرات الثمينة والفريدة من نوعها في لندن. وحسب ما تعلم، كان من اختصاص مؤسسة لاسلو،

المجوهرات القديمة، كما كان لها ايضاً سمعة وشهرة واسعتين بالمجوهرات الحديثة الصنع.

قالت ميراندا بعد ذلك وهي تزم بشفتيها: «من المؤكد انك لن تحتفل بوفاة عمك، قصدت فقط بأنك لا بد انك كنت سعيداً لأنك ورثت كل تلك المجوهرات الرائعة والثمينة. آه، يا ريتشارد، اود من صميم قلبي ان ازور محلك في لندن.»

قال بحدة: «نحن نفتح ابواب المؤسسة من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة، ومن الساعة العاشرة صباحاً إلى الساعة الخامسة من بعد الظهر.»

قالت بعينين ناعستين: «آه، قصدت زيارة خاصة.»

«اننا نستقبل زيارات خاصة فقط للزبائن المعروفين.» وابتسم لها ابتسامة لا تبعث على الارتياح.

اخفضت إلف رأسها وكأنها لا تريد ان تشهد هزيمة وخيبة امل ميراندا. وكان ريتشارد معها مثال الرجل المتمدن والمؤدب. لكن ميراندا ارتكبت خطأ فادحاً عندما اعتبرت وفاة عمه جوليان بهجة وفرحاً لريتشارد. ورأت في عينيه نظرة قاسية متحدية موجهة إلى ميراندا، لا تتمناها إلف لنفسها.

لكن ميراندا لم تكترث لنظراته تلك وقالت: «إذاً، يا سيد لاسلو، انني واثقة جداً بأنك تحاول اهانتي.» وقفت بسرعة وقذفت بحقيبة يدها إلى ما فوق كتفها بحنق شديد.

قال ريتشارد بهدوء شديد وهو يمط بساقيه الطويلتين ويتحرك بتكاسل على كرسيه التي بدت صغيرة جداً بالنسبة لقامته المديدة: «احاول اهانتك؟ من أين جاءتك هذه الفكرة، يا آنسة بانينغتون؟»

«آه!» تأوهت الآنسة بانينغتون ورفعت ساقها بعصبية، وظنت إلف بأنها ستضربها بعنف على الأرض. ولكنها لم تقم بذلك واعادت ساقها بهدوء إلى الأرض قائلة: «اقول لك، انني لم اسمع في حياتي كلها، كلاماً من هذا النوع، وبالأخص على متن سفينة صان شاين.»

شربت إلف جرعة من كأسها، وعندما رفعت وجهها مرة أخرى، وجدت ان ميراندا الساخطة والغاضبة، قد غادرت.

علق ريتشارد، وهو لا يبدو عليه اي شيء من الندم أو الأسف: «لقد ضايقتها كثيراً.»

نظرت إلف إليه ثم وقفت قائلة: «نعم، لقد ضايقتها فعلاً.» وحاولت جاهدة ان تخفي بهجتها وسرورها لذلك. وتابعت تقول بمكر: «ما صدر عنك ليس بالعمل الذكي البارع، يا سيد لاسلو.»

اطلق ريتشارد تصفيراً خافتاً من بين اسنانه ثم قال: «آه، لم اكن اعرف ذلك عنك، لقد اكتشفت فيك تعاطفاً على بنات جنسك، لم اكن اتوقعه قط. اجلسي الآن، يا إلف.»

«لا، يجب ان اذهب.»

«لماذا؟ لكي تغسلي شعرك مرة أخرى؟»

لاحظت المكر والسخرية تطلان من عينيه، مما أدى إلى تصلب في انحاء جسدها، وعادت تجلس على الكرسي، لأنها لا تريده ان يفكر بأنها تخشاه.

قالت بحدة: «لا، لأنني اريد الذهاب فقط. وما كان يجب أن تتخلص من ميراندا، فهي متأثرة جداً بك.»

«وأنت، ألم تتأثري بي؟ اعلم أنك اوضحت ذلك سابقاً، واصبت بخيبة أمل، ولكنني بطريقة ما، توقعت ذلك منك.

بالمناسبة، ان الآنسة بانينغتون ليست متأثرة كذلك، ولكنها تعتقد انني سأهبها ما تتمناه.»

نظرت إلف إليه بغضب، وتجاهل ريتشارد نظراتها تلك، فتابع قائلاً: «ومن ناحية أخرى، فانا اعتقد بأنك تقدرين صاحب الحرفة اليدوية لبعض الحجارة الكريمة والنادرة عندي، كما تقدرين جمالها ودقة صنعها وليس قيمتها المادية. أليس كذلك؟»

حولت إلف نظرها إلى ناحية أخرى، تحاول دون جدوى ان تخفي شعورها بالسعادة لاطرائه ومديحه لها، ومهما كانت تحاول ان تتغلب على مشاعرها تجاهه، فقد كان شيئاً ما يشدها إليه لسعة اطلاعه وثقافته واتزانه، ومن تعلقه بذلك الجمال البارد للجواهر والحجارة الكريمة.

قالت وهي تتجنب نظرات عينيه: «شكراً لك. هذا لطف منك ان تقول ذلك، ربما في يوم من الأيام...» وتوقفت فجأة، لكنه عندما وجه إليها نظرة مثيرة، اسرعت تتابع قائلة: «طبعاً، اقوم بزيارة مؤسستك ما بين الساعة العاشرة صباحاً، والخامسة بعد الظهر.»

زم ريتشارد بشفتيه قائلاً: «طبعاً.»

بلعت إلف بريقها وهي تحس بضعف نتيجة الوميض الذي في عينيه وقالت: «يجب ان أذهب حقاً، لقد آن موعد طعام الغداء.»

طأطأ ريتشارد برأسه موافقاً، ثم وقف معها قائلاً: «صحيح. يجب ان نحافظ على كامل قوانا، اليس كذلك؟»

قالت إلف، وهي تتظاهر بأنها لم تلاحظ السخرية في كلامه: «تماماً كما يفعل دائماً تشارلز ب. ووتربوش.»

وافق ريتشارد بسرعة: «انني متأكد ان غرفته مملوءة بحبوب دوار الشمس، وبعصير الغريفون والعديد من أنواع الفيتامينات.»

لم تستطع إلف تمالك نفسها من الضحك الشديد وتوردت وجنتاها من ذلك، ولم تقف عند هذا الأمر فقط، بل، وبطريقة ما لوت قدمها وكادت تهوي إلى الأرض.

أسرع ريتشارد لنجدتها، وعندما مال إليها، سقطت صورة فوتوغرافية من جيب قميصه، فالتقطتها إلف عن الأرض.

كانت الصورة صورتها، وقد التقطت عندما كانت تريد الصعود إلى السفينة، والتي كان من المفروض ان تكون صورة ريتشارد الذي ابتعد فجأة في اللحظة التي كبس فيها المصور على زر الكاميرا.

سألته بدهشة: «من أين جئت بها؟»

«من مصور الباخرة؟ انها الصورة التي قلت عنها، انك لا ترغبين ان يروها أولادك.»

«فهمت، لكن ذلك لا يعني انه يمكنك شراؤها والاحتفاظ بها.»

«لكنني دفعت ثمنها واحتفظت بها لنفسي.»

«لكنها ليست لك.»

«لقد أصبحت الآن لي.» وأخذ ينظر إليها بعينين ضيقتين، ثم قال بعد ذلك: «هل تعلمين، انها تروق لي جداً، واعتبرها تذكار منك لما كان لنا في الماضي.»

«لا ادري لماذا تروق لك؟» لم تدر إلف لماذا لا تريده ان يحتفظ بها لنفسه وتابعت تقول بحدة: «لا يمكنك الاحتفاظ بها، انها لي وحدي.»

«عدت تتكلمين بنفس اللهجة التي عرفتك بها في الماضي، هل ستبدئين الآن بنعتي بصفات مختلفة؟ ولكن إذا فعلت ذلك، كوني على ثقة بأنني لن أنخدع بها.»

كان يتكلم بطريقة غير مبالية، لكن إلف ادركت من نبرة صوته، أنه كان يعني ما يقوله. فأجابته:

«هذا لا يهم، يمكنك الاحتفاظ بها.»

«هذا ما انوي عليه فعلاً.»

نظرت إلف إلى وجهه لتراه يبدو الآن مثل الصقر وأكثر من ذي قبل، واحست باكتئاب مفاجيء في داخلها. فإن ريتشارد يحتفظ الآن بصورة لها وقد تكلم عنها بأنها تذكره بشيء كان لهما في الماضي ـ الماضي الذي انتهى وطويت صفحاته.

قالت بنوع من الحقد: «شكراً للعصير.»

لكنه لم يرد عليها بكلمة. وغادرا معا ذلك المكان بصمت شعرت إلف به غير مريح، وظهر فيه ريتشارد كأنه في عالم آخر.

جلست إلف على السرير في حجرتها الخاصة تطالع كتاباً حول القلاع البريطانية وما يحيطها من غابات تبعث الرهبة في النفوس، لكن عينيها لم تستطيعا قراءة كلمة واحدة مما جاء في الكتاب، بل عكست الصفحة بأكملها صورة وجه ريتشارد الوسيم.

أخذت تتساءل لماذا كان يجعلها احياناً حائرة. واحياناً منفعلة، ومرة يجعلها تضحك ملء فيها، وفي أخرى يدفعها إلى ان تركله؟ كانا في صغرهما يتشاجران وفي مناسبات عديدة، لكنهما كانا يتفهمان بعضهما البعض. ظنت بعد تلك السنوات الطويلة وبعد ما التقت به في هذه السفينة، بأنهما لا

يزالان متفاهمين. لكنها انزعجت وثارت ثائرتها لأنه اشترى صورتها، انها بذلك تشعر كأنه يمتلك قطعة منها.

قلبت صفحة من الكتاب دون ان تعي شيئاً من كلماتها وهي ما تزال مسترسلة في افكارها، انه يمتلك قطعة منها... نعم، هذا ما يمكن ان يقال... انها لا تريده ان يدعي بأنه مرتبط بأي ارتباط بها. أو، وتأوهت غير مستقرة على رأي واحد ونهائي، وها هي الآن توافق على ادعاء منه واي نوع من الارتباط هذا، انه بعث الانين في قلبها من جاذبيته الكاملة. والغريب في الأمر انها لم تعد تقارن بينه وبين طوني، فريتشارد كان صديق الطفولة، وقد احبته وقتها على طريقتها الخاصة، ولكن غريزتها الآن تحذرها بأنها ستدفع الثمن غالياً ان هي منحته قلبها. عادت تقلب صفحة أخرى من الكتاب وهي تتنهد، وارادت ان تنظر إلى آثار ريستورمال بدقة، لكنّ وجه ريتشارد كان يعود دائماً ليتصدر صفحة أخرى من الكتاب.

اقفلت الكتاب الذي بين يديها بعنف وانفعال شديدين ولما نظرت إلى ساعة يدها، وجدت بأنها أمضت فترة بعد الظهر كلها تقريباً وهي مستغرقة في افكار ليس لنهايتها قرار، ووضعت اللوم على ريتشارد.

كانت بعد مضي نصف ساعة من الوقت، في غرفة الطعام تتحدث عن حالة الطقس مع اليزابيت، وبعد بضع دقائق، دخل ريتشارد يخطو بخطواته الواسعة ثم حيا الجالسين إلى الطاولة بانحناءة من رأسه، ثم جلس إلى جانبها.

تمتم ريتشارد، وهو ينظر إلى فستان إلف الأسود والمقلم بخيوط ذهبية: «ساحرة. تبدين مثل الدبور في هذا الفستان.»

«شكراً لك. وأنت تبدو مثل العنكبوت الأسود.»

وضع ريتشارد كأسه بسرعة على الطاولة وتناول محرمة من الورق ليمسح بها فمه.

علق جيري الذي لم يستطع الاحتفاظ برأيه لنفسه وقبل ان تتمكن اليزابيت من منعه عن ذلك: «اعتقد بأنه يجب ان نستعمل بعضاً من مبيد للحشرات على هذه الطاولة.»

أخذت ميراندا تقهقه ضاحكة، وابتسم ريتشارد بطريقة مبهمة، بينما أخذت إلف تحدق بالطبق امامها، وتابع تشارلز ب. ووتربوش التهام قطعة من الخبز.

قالت ميراندا وقد كسرت الصمت بعد ذلك بقليل: «إلف. اتعلمين بأنك فتاة غريبة الأطوار؟ لماذا لا تدعين ريتشارد يعلمك العوم؟»

أجاب ريتشارد قبل ان تستطيع إلف التفكير بالجواب المناسب وقال: «لأنه طبع مميز فيها، وتعود معرفتي بها إلى ايام الطفولة، لكنني لم أكن ذلك الشخص المفضل بالنسبة إليها.»

قالت إلف وقد غاب عن ذهنها تماماً بأن عليها ان تحافظ على رزانتها: «كما انك لا تزال كذلك.»

تابع ريتشارد وكأنها لم تقل شيئاً: «أما أنا، ومن ناحية أخرى. فقد كنت سعيداً جداً لرؤيتها مرة أخرى. كانت تلك الأيام التي قضيناها سوية رائعة، الا تعتقدين ذلك؟ وانكر أنك اقترحت مرة اقتراحاً لذيذاً وممتعاً.»

ضغطت إلف بيدها على حافة الطاولة وهي تشعر ببعض الارتباك قائلة: «كانت اوقات رائعة بالفعل.»

قوس ريتشارد حاجبيه وهو ما يزال يعيد تلك الذكريات،

«خاصة عندما قررت ان تديري محرك سيارة والدي وتوجهت بها إلى الطريق العام، وكنت أنا الذي تلقيت القصاص والعقاب لذلك، وكانا من النوع المؤلم جداً على ما اذكر، وذلك من قلة تدبيرك وسلوكك، يا عزيزتي.»

قطبت إلف حاجبيها، وهي تدرك جيداً بأنه لا يحاسبها على شيء مضى وطواه الزمن، بل على تصرفاتها الحالية، فقالت له: «اعتقد انك انتقمت لنفسك من ذلك، وقد ركضت مرة ورائي ولم اجد خلاصاً منك سوى ان اتسلق شجرة الكرز، وعندما وجدت انني لم اعد أقوى على النزول عن الشجرة، ادرت ظهرك وتركتني معلقة بين الأغصان كي تقهرني.»

«لا، بل لأفوت عليك طعام الغداء. واعتقدت انك نلت درساً من ذلك، لكنه خاب ظني عندما ساعدتك في النزول بعد ذلك من الشجرة، ولما أصبحت على الأرض، هجمت عليّ مثل النمرة المفترسة.» ابتسم لتلك الذكريات قليلاً ثم تابع يقول: «والآن لم تتغيري بشيء ينكر عما كنت عليه.»

سمع من جيري غصة من حلقه، واحست بالاحراج وقد تنبهت بأنهما لم يكونا وحدهما إلى الطاولة، وكانت عيون الذين حول الطاولة شاخصة إليهما، فعينا جيري تتغضن من الضحك، وعينا إليزابيت تشعان لطفاً وعطفاً، وعينا ميراندا تشعّان بالحسد والغيرة لما كان لهما من الماضي.

نظرت إلف إلى ريتشارد نظرة من المفروض منها ان تحجمه وتقلل من شأنه، لكن ذلك دفعه إلى رفع حاجبيه مبدياً الفتور وعدم الاكتراث، فحولت وجهها عنه وتظاهرت بقراءة لائحة الطعام.

خيل لإلف ان وجبة العشاء هذه المرة كانت طويلة لا نهاية

لها بما تخللها من همسات غير مستحسنة حول الطاولة، ولما انتهت الوجبة اخيراً، قررت إلف ان الظلام في قاعة السينما قد يغير من مزاجها أكثر من أي شيء آخر.

دخلت قاعة السينما وشقت طريقها في العتمة إلى اقرب مقعد، وكان العرض قد بدأ. ولم يخطر في بالها انها ليست الوحيدة التي لجأت إلى ظلام السينما لتنقية مزاجها. شعرت بعد لحظات، بساقين طويلتين تمتدان قريباً جداً منها كما انهما ليستا بمجهولتين عنها.

قالت بهمس آخر وعنيف: «ما الذي تفعله هنا؟»

أجاب ريتشارد: «أشاهد هذا الفيلم الممل. كم هو جميل منك ان تلحقي بي.»

همست إلف بتقطع: «لكنني لست...» قال غير مصدق وهي تعلم علم اليقين بأنه لا يصدقها: «صحيح؟ على اية حال، وبما انك جئت، لا ارى انه من الضروري ان نتابع احداث الفيلم. هيا تعالي، لقد حان وقت الانصراف.» ثم وقف يسحبها عن مقعدها.

حاولت إلف ان ترفض ذلك في بادىء الأمر، ولكنها عندما شعرت بأصابع يده تضغط على ذراعها بلطف، استسلمت لرغبته وخرجت برفقته دون أية ممانعة أخرى.

وقفا بعد ذلك تحت الأضواء المنيرة في قاعة الجلوس في السفينة وحاول ريتشارد ان يشدها نحوه، لكنها اسرعت تقول له: «آه، ماذا تفعل؟»

قال لها هامساً: «ماذا دهاك؟»

«لا شيء، لكن لماذا تقوم بذلك، يا ريتشارد؟»

«اقوم بماذا؟ ولماذا اراك بهذا التمنع والنفور؟»

«أنا، لا...»

وكأنه ادرك بما تعانيه وتشعر به فقال: «في هذه الحالة، هل هناك شيء آخر تقترحينه لكي نمضي به هذا الوقت؟»

كان في كلماته اقتراح لا يمكن تجاهله، فحاولت إلف التملص منه.

قالت بارتباك: «أ... أ... لماذا لا نذهب إلى قاعة الرقص؟»

ضحك ريتشارد قائلاً: «حسناً، كما تريدين، فهذا قد يفيد في الوقت الحاضر.» وكان يتكلم بلطف زائد مما جعل إلف تشعر ببرد مع ان الليلة لم تكن ليلة باردة.

كانت قاعة الرقص كعادتها تغص بالراقصين والراقصات، وكانت الفرقة الموسيقية تعزف موسيقى هادئة وناعمة، وشعرت إلف والسفينة تتهادى في اندفاعها فوق المياه، ان حلمها المشوش الذي حلمت به ليلة امس الأول، قد اصبح حقيقة. وأخذت تتقدم مع ريتشارد إلى ساحة الرقص وذراعه القوية تمسك بها، ثم جذبها نحوه وابتدأ بالرقص.

قال بلطف: «آسف لأنني تركتك عالقة في الشجرة.» فشعرت بصوته الهامس في اذنها بنوع من الانتعاش النفسي. وتابع يهمس لها: «ومع ذلك، ان الذي حدث قد حافظ على تناسق وقوام جسدك.»

«ربما.» وافقت وقد شعرت بأنه مرة أخرى كان يستعمل الماضي ليشير به إلى الحاضر. وقالت له: «آسفة لأنني استعملت سيارة والديك خلسة.»

«حسناً، لكنني سأجعلك تدفعين ثمن فعلتك هذه في يوم من الأيام.»

نظرت إليه إلف بسرعة، وتساءلت ان كان جاداً في كلامه، ولكنها عندما لمحت طرف فمه يلتوي ساخراً، ابعدت نظرها عنه لتلتقي نظراتها بشخص ميراندا، التي كانت تمشي بخفة مرتدية فستاناً ضيقاً يظهر مفاتنها.

غمغمت إلف: «لن ادفع ثمناً ولا أي شيء كان. وعلى اية حال، لقد كنت من ناحيتك فتى لا يطاق.»

ابتسم بتكاسل قائلاً: «هل كنت فعلاً كذلك.»

شعرت بأشياء غريبة في نفسها ومن ابتسامته تلك بينما كانت عيناه الخضراوان تتسلطان على وجهها، ولاحظت للمرة الأولى خطوط صغيرة حول زاويتي فمه. خطوط خططها الزمان ليس فقط من عمله المتواصل والدؤوب الذي حقق من ورائه نجاحاً وشهرة، بل اضاف ايضاً الزمن زوجة كان قد خسرها.

قالت من دون اقتناع راسخ منها: «حسناً، لنقل انك لم تكن دائماً لا تطاق.»

قال بعذوبة: «ربما. ولكن اظن بأنك لم تكتشفي بعد كيف يمكن ان اكون لا اطاق بالفعل.»

«ماذا تعني بذلك؟»

«اعني بأنني اتوقع منك ان تحترميني أكثر من الآن فصاعداً، ايتها السيدة الصغيرة.»

«احترمك...!» واحست بغصة في حلقها لانفعالها الشديد.

كرر قوله بهدوء: «نعم، الاحترام التام لمن هم أكبر منك سناً واعظم شأناً.»

«الأكبر سناً وماذا؟ ان كنت تظن...» وتوقفت لاهثة، بينما توقفت الموسيقى فجأة واعلنت نهاية الرقصة.

سأل بلطف: «اظن ماذا؟»

«أنني قد احترم الرجل الأكثر تغطرساً في العالم...»

أمسك بيدها ومشى معها إلى طاولة، وجلست إلف ثم نظرت إليه بسخط ونقمة ممزوجين بالاعجاب الشديد به. واعترفت بينها وبين نفسها بأنه رجل رائع وفاتن وبالأخص ببذلة السهرة التي كان يرتديها، انه من صنف الرجال الذين لا يمكن معارضتهم في أي شيء. وكانت من ناحيتها لا ترغب ان تعارضه أو ان تقدم على خداعه بثقته الكبيرة بنفسه وغطرسته التي لا تطاق، كما وانها تفكر بأنه لا بد من تحجيمه إذا اتاح لها الزمن ذلك.

تمتمت، وهي تحدق متأملة في مرآة رسم عليها رسماً جميلاً: «انه أمر غريب فعلاً. غريب ان نلتقي بعد تلك السنوات الطويلة، ونجلس إلى نفس الطاولة ايضاً.»

قال ريتشارد بإيجاز: «انه القدر.»

«تقول القدر؟»

بدا غير مبالٍ وهو يقول: «نعم انه القدر أو ما يشبهه، وكنت قد غيرت الطاولة التي حجزتها عندما علمت بأنك على متن هذه السفينة.»

قالت إلف: «لماذا فعلت ذلك؟»

«لأنني شعرت بالفضول لأعرف إذا كنت مازلت فتاة مشاكسة كما كنت اعرفك في الماضي، واكتشفت بأنك لم تتغيري قط، وتصور لي ايضاً بأنك تملكين ايضاً لساناً حاداً لا يرى في فمك الجميل، وقلت لنفسي، انك دائماً في حاجة إلى شخص يردعك ويوقفك عن افعالك.» ومد يده ليرفع كأسه عن الطاولة.

قالت إلف متهمكة: «تظن نفسك بأنك أنت هو ذلك الشخص الذي تتكلم عنه.»

أجابها: «من المستحسن ان أكون أنا ذلك الشخص.»

قالت آمرة، عندما استقرت نظراته على وجهها: «ألم تنتهي من النظر إليّ على هذا النحو؟»

قال مبتسماً: «نعم، ولكن للوقت الحاضر فقط.» لكن بالرغم من سخطها عليه، بادلته الابتسام بابتسامة مماثلة.

قالت بنكد: «اعتقد بأنه يمكنك ان تسلط اشعة الشمس دائماً على مصاصي الدماء. لكنك وعلى أية حال، كنت دائماً...»

قاطعها ريتشارد: «نعم، أعرف ما تريدين قوله: انني كنت دائماً فتى لا يطاق.»

تنهدت إلف ورشفت قليلاً من كأسها ثم قالت: «واعتقد انه لهذا السبب كنا دائماً نتفق مع بعضنا البعض.»

سألها بجفاف: «أتقصدين أنك أنت ايضاً كنت فتاة لا تطاق؟»

«نعم، انما في بعض الاحيان.»

ظهرت علامات الاستهزاء على وجه ريتشارد وهو يقول: «لا تذكريني بنفسك، ففي حالة كحالتك، انما الأشياء تتغير وتتبدل، وأنت تبقين على ما أنت عليه.»

خفضت إلف عينيها كي لا يقرأ ما فيهما تجاهه من اعجاب، ثم لكزت بقدمها بتعمد ساقه الطويلة.

بدت ملامح ريتشارد جامدة من حركتها تلك، ومال قليلاً نحوها وابعد خصلة من شعرها الأجعد إلى ما وراء أذنها، وحذرها قائلاً: «انتبهي من فعلتك هذه، لأنني اذكر آخر مرة لكزتني فيها، أخذت أشد أذنيك.»

www.elromancia.com

قالت إلف وهي تنظر إليه: «كنت بدأت ان تفعل ذلك. ولكن كان والدي قد امسك بك في الوقت المناسب.»

«نعم هذا فعلاً ما حدث.» واستوى في مكانه ببطء متابعاً: «واعتقد انه في المرة القادمة لن يحالفك الحظ وينجدك والدك أو غيره. والآن، تعالي نرقص مرة أخرى.»

«يبدو لي وكأنك تصدر أمراً بذلك.»

«نعم انه كذلك.» وامسك بمرفقها، ولم يعطها فرصة لتقول له انها لا تتلقى أوامر من أي كان، وقادها إلى حلبة الرقص في الوقت الذي عادت الفرقة الموسيقية تعزف الحانها.

فكرت في ان تتخلص منه، ولكنها كانت تشعر بالشلل تماماً من ذراعيه القويتين.

تنهدت واراحت رأسها فوق صدره والأفكار تروح وتجيء بها ولا تعرف ان كان عليها أن تسر أو تغضب من مراقصته لها.

همست عند انتهاء الرقصة: «لقد تأخر بنا الوقت.»

«هل تظنين بأنك سندريللا وعليك ان تعودي حالاً إلى بيتك قبل ان يكتشف امرك؟»

نظرت إليه وكأن كلامه الساخر اعادها إلى حقيقتها وواقعها.

«لا، بل إلى غرفة زينة السيدات، لكن وكما ترى فأنا لا انتعل حذاء من الكريستال كالذي كانت تنتعله سندريللا.»

«ربما هذا افضل لي.»

«لماذا؟» وتوقفت إلف بعد ان كانت تهم بالمسير.

«لأنني غير مستعد لأقلب السفينة رأساً على عقب وأنا ابحث عنك.»

أجابت إلف بلطف وهي تبتعد عنه: «كما وانك لست بذلك الأمير الساحر الذي أحب سندريللا.»

عندما عادت إلف إلى الملهى الليلي، لم تلمح ريتشارد في البداية. واكتشفت بعد ذلك بأنه كان يستند إلى حائط في الناحية الأخرى للمكان ويحمل كأسه في يده، يراقب راقصين يرقصان على حلبة الرقص.

أخذت تنظر إليه بهدوء وامعان، لأنه لم ينتبه لرجوعها، ولاحظت بأنه لم يكن مهتماً بالراقصين، بل انه بدا عليه بعيداً جداً عن المكان الصاخب بالموسيقى وكأنه في عالم آخر. لم تكن تدري بالطبع ما كان يجول في رأسه ولكنها لاحظت أو انها ادركت من وقوفه المتأمل ذلك، بأنه اضاع شيئاً ويريد استرجاعه بأية طريقة. كان من المفروض ان تخاف من تكشيرة فمه التي بدت قاسية، ولكن شيئاً ما في داخلها جعلها تشعر بالعطف والشفقة عليه، وان تحميه من نفسه وتمنت لو انها تستطيع العودة إلى الماضي وإلى عمر الحادية عشرة لتؤيد وتناصر بطلها المفدى.

رفع بعد ذلك ريتشارد كأسه ورشف ما فيه وكانت إلف قد عادت إلى واقعها الآن تنظر باعجاب إلى الرجل الوسيم الذي عرفته في طفولتها.

صرف إلف عن تفكيرها وتأملها، مرور ميراندا من جانبها، التي لاحظت ايضاً وقوف ريتشارد وحيداً، فتركت مراقصها واسرعت نحوه، واعدة نفسها.

الفصل الخامس

نظرت إلف بطرف عينيها مندهشة، وتساءلت أصحيح ما تراه؟ ميراندا لم تكن من نوع النساء اللواتي يدركن بسرعة انهن مرفوضات، لكنها لا بد وانها قد عرفت بأن ريتشارد لم يفتن بسحرها واغراءاتها المثيرة.

فكرت انه شيء ممتع أن تراه سيتخلص منها بذكائه المعهود. تقدمت إلف مبتسمة ووقفت قرب رجل بدين ليتسنى لها أن ترى أفضل.

كان ريتشارد ما يزال غارقاً في أفكاره، ولم يلحظ قدوم ميراندا السريع إليه والتي كانت لسرعتها هذه يميل رأسها من الشمال إلى اليمين مثل بطة في بحيرة يقذف لها بفتات الخبز.

جلست إلف على كرسي قريب لتراقب المشهد الملفت للنظر.

سمعته إلف يقول ببرودة مبالغ فيها، وهو لا يزال شارد الذهن: «نعم؟» لكنه لما استدار وعرف التي كانت تبادره بالكلام قال: «آه، هذه أنت، لقد عدنا نلتقي من جديد.»

ضحكت ميراندا بخفة قائلة: «نعم، وآمل أن تكون أحسن حالاً الآن.»

«أحسن حالاً؟»

«نعم، ذلك لأنك كنت معكر المزاج هذا الصباح، ألا تذكر ذلك؟»

«وهل كنت كذلك؟ لا أظن.»

«لا تظن؟ آه، يا عزيزي. يا لك من مسكين يا ريتشارد، هل عدت تنفرد بنفسك؟ كم هو ممل ذلك.»

«لا، أبداً، فأنا أرى ان الانفراد أحياناً ممتع ومريح أكثر.»

أسرعت ميراندا تجيب: «آه طبعاً. لكن أعتقد ان رجلاً له صفاتك الحيوية، لا يفضل أن يمضي سهرته على هذا النحو الممل الذي تدعوه ممتعاً، ومريحاً.»

هزّت إلف برأسها غير مصدقة وقاحة ميراندا والتي كانت تنظر إلى ريتشارد بعينين ذابلتين ناعستين، ومع ان إلف لم تستطع رؤيتها كيف كانت تنظر إلى ريتشارد، لكنها شعرت بذلك بغريزتها.

وضع ريتشارد يديه في جيبي سرواله وابتسم بغموض قائلاً: «ذلك يتوقف على أشياء كثيرة.»

كانت إلف تعرف حق المعرفة بأن ريتشارد لا يراها. لم تمنح إلف ميراندا وقتاً لتسأل ريتشارد عما تكون هذه الأشياء، بل شعرت بدافع لأن تتقدم ناحيتهما، خصوصاً عندما شاهدت وجه ريتشارد خالياً من أي تعبير لتلك الطريقة الاستفزازية التي كانت ميراندا تهز بها رأسها. ومشت دون أن تفكر لتقف وراء ميراندا وتربت على كتفها قائلة: «لا تقلقي يا ميراندا. فالسيد لاسلو عنده ارتباطات سابقة لبعض النشاطات الحيوية لهذه الليلة. وبالإضافة إلى التحدث عن الماضي المليء بالذكريات الحلوة والمرة. هل كنت تعرفين بأنه كان فتى لا يطاق؟»

أجابت بجهد واضح: «آه، انني متأكدة بأنه ليس كما

وصفتيه، يا إلف. فالذي عرفته من العزيز ريتشارد يختلف كثيراً عما تقولين.»

فكرت إلف ان عدت إلى النظر بهذه النظرات الناعسة، سوف أصفعك على وجهك، وبدأت تدرك الآن ما حشرت نفسها به.

لكن ميراندا لم تكن من النوع الذي يستسلم بسهولة، ابتسمت لريتشارد وقالت تتصنع الخجل: «إذاً، نلتقي غداً، يا ريتشارد؟ من لطفك أن تمتّع إلف، لكن أرجو أن لا تسبب لك تلك الذكريات التي ستعيدها على مسامعك تعباً وارهاقاً.»

قال ريتشارد: «هذا ما أتمناه أيضاً. ولكن من ناحية أخرى، لقد ذكرت شيئاً آخر يمكن فعله غير سرد الذكريات، انها بعض النشاطات الحيوية.»

توقفت ميراندا عن ابتسامتها وابتعدت عنهما، وشاهدتها إلف تعود إلى مراقصها وهي تجر ذيول الخيبة وراءها، لكنها دهشت من نفسها عندما شعرت بالأسف لتراجع ميراندا المذل، والتي لم تقدر أن تعيد ريتشارد إليها، كما وأن نظراتها الناعسة لم تكن يوماً الطريق الصحيح إلى قلبه.

توقفت إلف عن التفكير بميراندا عندما رفع ريتشارد وجهها فالتقت عيناها بعينيه. ثم قال لها: «هل أنجدتني لأنك لمست فعلاً انني بحاجة للمساعدة؟ وفي هذه الحالة، من المؤكد أنّ هناك بديلة أخرى تفكرين بها.»

حدقت إلف في وجهه غير متأكدة ان كان يمازحها أو انه جاد في قوله كما انها غير متأكدة من الشعور الذي انتابها فجأة، فقالت بسرعة: «لا، ليس هناك أية بديلة، كما وانك لم تكن بحاجة إلى أية مساعدة، أليس كذلك؟»

«هل تعنين أنني لم أكن أريد الموافقة على عرض ميراندا؟»

تطرفت إلف بعينيها وقد شعرت بأن نبرة صوته قد أصبحت فجأة باردة وكأنها اتهمته بشيء كريه وبغيض.

قالت بحزم: «إذا أردت الموافقة على عرضها، فان ذلك لا يعنيني أبداً.»

«يسرني أنك قد أدركت ذلك.»

«الذي أقصده في الحقيقة...»

قاطعها مؤكداً: «انني كنت استطيع أن أحرر نفسي منها دون مساعدتك؟ وأقول لك نعم استطيع. لكن كان ذلك سيحرمني لذة رؤيتك في تدخلك واندفاعك السريع.»

أخذت إلف نفساً عميقاً وقد لاحظت ان نبرة صوته أصبحت هادئة الآن وملامح وجهه خلت من أي تعبير، ولكنها كانت تشعر بأنه يستهزىء بها في داخله، ولم يعجبها ذلك، مما جعلها تشعر في نفسها انها ما زالت صغيرة وسانجة.

قالت وقد تمنت أن لا يظهر عليها انها تأذت وجرحت: «آسفة إذاً لتدخلي.» ابتسمت باشراق ومدّت يدها لتصافحه قائلة: «عمت مساء، يا ريتشارد.»

أعاد كلامها قائلاً: «عمت مساء، لكنني فهمت منك بأننا سنقوم ببعض النشاطات الحيوية لهذه الليلة، ويتبع ذلك الرجوع بذاكرتنا إلى الماضي.»

أمسك ريتشارد يدها الممتدة إليه، وشعرت بخوف من تعابير العزم في وجهه، بدا وكأنه قد اتخذ قراراً وسوف ينفذه. خامرها شعور بأنها هي القرار الذي قرره، فابتهجت وخافت في الوقت نفسه.

احتارت في أمرها وهي لا تدري كيف أوقعت بنفسها في هذا المأزق، ثم قالت: «تفوهت بكلام لم أكن أعني كلمة واحدة منه.»

«لكي تبعديني عن شرك ميراندا؟ آه، نعم فهمت. ولكنه كان شركاً رائعاً وجميلاً، ألا توافقين معي؟ انك تدينين لي بواحدة، يا آنسة ماكبيس.»

«أنا لا أدين لك بشيء. لقد قلت انك لم تكن تريد أن تقبل عرضها.» وحررت يدها من قبضة يده ونظرت في عينيه قائلة: «شكراً لهذه الليلة السعيدة، يا ريتشارد.»

قال بسخرية هادئة: «سعيدة؟ نعم، أعتقد بأنها كانت كذلك. لكن لماذا تصرين على الوحدة، بينما يمكنك أن تنالي القمر.»

شعرت إلف بسخرية مضلّلة في صوته، وتساءلت في ما لو كان يفخخ لها من أجل غرض في نفسه.

قالت بلهجة جافة: «لا يمكن أن تكون أنت القمر، ان كان ذلك ما تعنيه.»

ضحك قائلاً: «تحاولين دائماً أن تحجميني يا إلف، أليس كذلك؟ ولكن ولسوء حظك لم يكن ذلك ما كنت أعنيه، بل على عكسه تماماً.»

حدّقت إلف فيه بحيرة وارتباك. في ما إذا كان يتملق لها، أو يغازلها أو يقوم باقتراح ما، ولمس خدها بلطف قائلاً: «عمت مساء، يا سيدة القمر.» ثم ابتعد عنها وخرج.

أخذت إلف تنظر إليه وهي مقطبة الجبين، وتساءلت عما كان يدور في رأسه. لكن وفي هذه الحالة ما الذي كان يدور في رأسها هي أيضاً؟ وقررت أن تعود إلى حجرتها الخاصة وتستسلم لنوم هادىء وعميق. لكنها ترددت

وتساءلت في نفسها، لم تستسلم للنوم وهي لا تشعر بالنعاس، بينما القمر يشع في السماء، والمحيط الأطلسي يوحي بأحلام عذبة...

قررت أخيراً أن تصعد إلى سطح السفينة. كان الضباب الرمادي قد حجب الرؤية ولم تتمكن من رؤية الدرابزين، وبينما كانت تلف شالها الرقيق حول كتفيها، أخذت تحدق بشيء أمامها لم تميزه من شدة الضباب الكثيف.

تمتم صوت عابث: «كان ينبغي من السفينة سوبر شيب أن تستعد لطقس أفضل من هذا الطقس.»

قفزت إلف من مكانها، وقد أطل وجه جيري بخبث وسخرية أمامها، ثم تابع يقول: «يسرني أن أراك هنا تتمتعين بالهواء المنعش، لقد لاحظت عليك انك شاحبة وهزيلة عند العشاء.»

«صحيح؟»

«آمل أن تكوني سعيدة في الحب.» كانت عيناه تركزان عليها باهتمام، وتمنت لو انه يتوقف عن النظر إليها بهذه الطريقة.

أجابت بسرعة: «نعم، بالطبع انني كذلك.»

«يسرني أن أسمع ذلك، فريتشارد لاسلو شاب جذاب ولطيف، ولكن يمكن القول انه أيضاً صلب وعنيد.»

ابتسمت إلف قائلة: «نعم، انك على حق في ذلك. لكنني اعتدت عليه على هذه الصورة، فهو على هذه الحال منذ كان فتى صغيراً.»

طأطأ جيري برأسه قائلاً: «ظننت ذلك، لكن لا تدعيه يؤذيك يا عزيزتي.»

قالت إلف مؤكدة: «لن أدعه يفعل ذلك أبداً.»

www.elromancia.com

مشت وجيري على سطح السفينة والصمت يلفهما، وكانت تتساءل في ما لو كان بقدرتها أن تنفذ كلمتها ولا تدع ريتشارد يؤذيها.

سحبها صوت جيري من تأملاتها: «أين وصلت بأفكارك؟»

أجابت إلف: «كنت... كنت أفكر بأن الجو حار بالرغم من الضباب الكثيف.»

نظر جيري إليها بخبث ودهاء، غير مصدق كلامها ولكنه لم يلحّ عليها أكثر من ذلك، وأدركت إلف أنه بسبب اضطرابها الفكري كان يبدو عليها أحياناً انفعالات لن يصعب على أي كان ادراكها وفهمها. وقررت بينها وبين نفسها أن تلهي نفسها بكل النشاطات التي تقام على متن هذه السفينة وان لا تسمح بعد الآن بتساؤلات وشكوك الأشخاص الجدد الذين تعرفت عليهم مثل جيري.

دخلت مساء الليلة التالية إلى القاعة الكبيرة من السفينة لحضور الحفلة التقليدية التي يقيمها عادة ربان كل سفينة في رحلته. كانت ترتدي فستاناً حريرياً أصفر اللون، وأحست براحة وعزاء عندما رأت عيون الرجال قد تحولت نظراتهم إليها عندما دخلت.

ان ريتشارد ليس السمكة الوحيدة في المحيط، فكرت إلف ثم ذكرت نفسها أن ذلك لا يعني من انها تهوى صيد الرجال. أخذت تبحث عن الوجوه المألوفة لديها والتي تعرفت عليها في رحلتها هذه، بعد ان صافحت موظفي السفينة جميعهم. لكن نظراتها سقطت حالاً على ريتشارد. لم يكن من النوع الذي بالامكان التغاضي عنه. كان يسند جسده على دعامة وهو

يطوي ذراعيه. بدا عليه الانعزال والتحفظ، فتذكرت ان هذا اليوم يصادف ذكرى زواجه العاشر.

إلف لم تره طوال هذا النهار، ومشت نحوه وهي عازمة على أن تثبت لنفسها انه يمكنها أن تتحدث معه بأحاديث عابرة دون أن تجعله يؤثر عليها بشيء.

تلاشت ملامح العزلة والتحفظ فوراً عن محيط وجهه وحلّ مكانهما ابتسامة واهية عندما وقعت نظراته عليها، وبدت نظرات الاعجاب تظهر في عينيه لأناقة ثوبها الحريري الأصفر.

قال لها بنبرة آمرة وقد اقتربت منه أكثر تتهادى في مشيتها: «لا تتحركي.»

«لِمَ لا؟»

«لأنه إذا بقيت مكانك يمكنني السيطرة على اعجابي بك بذلك الثوب الرائع، وإذا تقدمت أكثر، لن أكون مسؤولاً عما قد ينتج من اعجابي الشديد.»

ابتسمت إلف قائلة: «هل فعلاً أعجبك ثوبي؟»

قال ريتشارد وفي عينيه أشياء أكثر من الاعجاب بالثوب فقط: «كلمة اعجاب لا تكفي، يا إلف.»

جاء في تلك الأثناء صوت حاد من ورائهما قائلاً: «رخيص، أليس كذلك؟»

سألت إلف بحدة بعد مرور لحظة وجيزة: «وما هو الرخيص؟»

أشارت ميراندا إلى الكأس الذي في يدها ثم جرعت جرعة قليلة منه: «هذا الشراب.»

قال ريتشارد بصوت جاف وفظ: «يجب ألا أتذمر، لأنه على حساب ربان السفينة.»

نظرت إلف إليه بسرعة متسائلة ان كان يعاني من عوامل نفسية ما، لكنها أبعدت تلك الفكرة عن رأسها حالاً، وتذكرت بأنه يتصرف بطبيعته الساخرة كعادته.

قالت ميراندا متذمرة: «عندما كنت على متن سفينة صان شاين، شربت أفخر المشروبات.»

كانت إلف لا يهمها ما قد تحصل عليه وهي على متن هذه السفينة سوبر شيب، كذلك ريتشارد، على ما يبدو. أطلّ في هذه الأثناء رجل بشارب كثيف ويلبس ساعة ثمينة ويبدو عليه الثراء الفاحش فلفت أنظار ميراندا إليه، أمسك ريتشارد بمرفق إلف وهمس في أذنها: «تعالي، سنترك هذا المكان.»

«لكنني وصلت لتوي.»

«كذلك أنا.»

«ولكن...»

«لا تقولي ولكن يا إلف لقد تعبت وأنا أتكلم معك بلغة المنطق سيما وأنا محاط بعدد من الغرباء.»

حاولت إلف أن تقول انها لا تريد منه أن يكلمها بأي شيء، وبالأخص إذا كان يعني في ذلك منطقها وادراكها، انها سعيدة في مكان وجودها. لكن ريتشارد كان يمسك بها من مرفقها، ويمشي بها بمحاذاة الصف الطويل لموظفي السفينة، ومروراً أيضاً بشارلز. ب. ووتربوش، وشعرت بضغط أصابعه القوية على مرفقها... فانقادت له دون أي اعتراض وسمحت له ان يخرجها إلى خارج القاعة.

وصل ريتشارد إلى مقعد جلدي أزرق اللون قرب نافذة طويلة تطلّ على المحيط، جلس عليه وأمسك بإلف وضمها إليه.

قالت إلف بحدة: «ما الذي تفعله؟ ريتشارد ما معنى هذا؟»

أجاب ريتشارد: «يعنينا نحن الاثنين. ومال على وجهها ثم قبلها.

صعقتها محاولته ولم تستطع المقاومة.

سألته وهي تبتعد عنه وتسند ظهرها إلى النافذة ويدها على قلبها: «لماذا قمت بذلك؟»

قال ريتشارد متشدقاً بكلامه: «من المؤكد انه يجب أن تتوقعي قبلة لفستان رائع كهذا. ومن الصعب أن أتجاهل ذلك.»

«آه! انك... انك...»

هز رأسه بعنف قائلاً: «لا تضيعي الوقت وتصفينني بأسماء غريبة، يا إلف. فأنا أريد أن أتكلم معك وأعني ذلك.»

قالت إلف بحنق: «ليس بيننا من شيء نتكلم بشأنه.»

«آه، ولا حتى ما تقاسمناه معاً في طفولتنا؟»

«حسناً، انني...» وتكسرت الكلمات على شفتيها.

«ليس لديك جواب عن هذا، أليس كذلك؟ ما الذي أصابك، يا إلف؟ اعتقدت بأنك سامحتني لأنني أخرجتك من النهر بعد ان كنت أنا السبب في سقوطك فيه، فلماذا تواصلين الشك فيّ بأنني أريد الاعتداء عليك؟ أؤكد لك يا إلف، ان هذا الشيء لا أقوم به بتاتاً.»

«أعرف ذلك، ولم أظن...» بلعت إلف بريقها وضغطت براحتي يديها على الزجاج البارد، ثم قررت بأن الصراحة مع ريتشارد هي أفضل شيء ممكن أن تقوم به، وهذا ما كان يفضله دائماً منها.

قالت له مضطربة: «لقد انتهيت منذ بعض الوقت من حبي لرجل ظننته طوال الوقت بأنه كان يبادلني الحب أيضاً.» ثم استدارت لتحدق عبر النافذة إلى المحيط وتابعت قائلة وهي

تحاول أن تتمالك نفسها من الانفعال: «انني لست مستعدة لأن أحطم قلبي مرة أخرى.»

قال وقد نفد صبره: «لكنني لم أقل لك بعد انني أحبك، أليس كذلك؟ ولا أنوي أبداً أن أحطم قلبك، يا إلفرايد.»

«لا، أعلم بأنك لم تقل لي ذلك، وأشك في أن تقولها.»

«أهذا هو رأيك بي؟»

لاحظت إلف تجهم وجهه، ورأت انه من العبث أن تخبر ريتشارد مما تعاني من آلام وعذاب بعدما حصل لها من تجاربها في الحب سابقاً وهو الذي تزوج من امرأة كانت صديقة له في طفولته في الماضي، لكنه كان زواجاً روتينياً خالياً من أية عاطفة أو شعور، ولن يدري كيف يشعر المرء عندما يتحطم قلبه من الحب.

قالت وهي تبتعد عن النافذة: «نعم، هذا هو رأيي بك. لذا، لا أظن بأن هناك من شيء أكثر ليقال في ما بيننا.»

قال ريتشارد مبتسماً: «لا تظنين؟ يا لك من مخلوق صغير ساذج. أرى انك تؤمنين بالقصص الخيالية. متى ستنهضين لتكتشفي بأن الأمير الساحر ليس له وجود قط، يا إلف؟ وبأنه يجب أن ترتبطي برجل من لحم ودم؟» كانت إلف تحدق به مصعوقة من كلامه، فتابع بخشونة: «هيا، اسرعي إلى حفلتك، يا سندريللا.»

مشت إلف بكرامة ولم تسرع كما أشار لها ريتشارد، وبرأس مرفوع عادت إلى حفلة ربان السفينة، فهي لا تريد أن تتخلف عنها لأجل رجل متغطرس قبلها... ثم قال لها لتسرع وتبتعد عنه.

أحست بغشاوة في عينيها وهي تنظر إلى الحشد

الصاخب من المسافرين في القاعة الكبيرة، وداست دون انتباه منها على قدم تشبه قدم الفيل، كانت قدم تشارلز. ب. ووتربوش الذي كان يخفي صينية من السندويتشات مع حبوب الزيتون، وبينما كانت تحاول أن تهمس معتذرة من تشارلز، جاء النادل ووضع كأساً من البرتقال في يدها.

اسرع يقول لها تشارلز محذراً: «ان لم تنتبهي، فسوف ينكسر الكأس في يدك.» نظرت إلى الكأس الذي في يدها لتجد بأنها كانت تضغط عليه بقوة وكأنه معجون للأسنان.

ابتسمت إلف له ثم أفرغت كل ما في الكأس دفعة واحدة في جوفها، وضعته جانباً وغادرت الغرفة.

طلبت نفسها الهواء الطلق، لم تكن ترغب في الضجة والجو الخانق في القاعة الكبيرة. لم يكن الهواء منعشاً كما تأملت، بل كان رطباً وبارداً، مما جعل بدنها يرتجف من ذلك، ولكنه جعلها تفكر بوضوح وهدوء أكثر.

رأت بأنها تصرفت بطيش وكأنها ما تزال مراهقة، فهي تارة تتجاوب مع ريتشارد ساعية إليه، وطوراً تحاول أن توقفه بعنف عند حده. فهي لم تتعرف إليه إلا منذ ثلاثة أيام فقط، ذلك إذا لم تحسب الأيام التي تشاركا فيها معاً أيام الطفولة. حصل في هذا الوقت القصير بعض الأشياء التي ما كان يجب أن تحدث. لكن كيف يمكنها أن تهرب من جاذبية وسحر ريتشارد مع انه لا يؤمن بالذي تؤمن به والذي لم يكن يعتبرها أكثر من رفيقة رحلة عابرة؟ وبما انها ترفض هذا النوع من الحب، فلا شيء فيه يمكن أن يسحرها أو يجذبها إليه.

داعبت أذنها خصلة من شعرها الرطب بفعل رطوبة الجو. وكانت يداها مبللتين من درابزين السفينة، بينما أخذ الجو

البارد يتسرب إلى مفاصلها، لذا أسرعت وتوجهت إلى الداخل.

كانت الحفلة قد انتهت، والركاب في طريقهم لتناول طعام العشاء. قررت إلف ان تتجاهل ريتشارد لاسلو هذه الليلة وتتناول طعامها بهدوء.

عندما دخل ريتشارد غرفة الطعام، اندهش لرؤية الذين يشاركونه الطاولة، وهم يحدقون بسلة من الرقائق اليابسة فومضت عيناه، بابتسامة لم تكن مريحة.

قال ريتشارد من وراء إلف وهو يداعب خصلات شعرها: «مرحباً، أيتها النرجسة الصفراء.»

توقفت إلف عن التحديق بالرقائق اليابسة، لتحدق به قائلة: «قلت النرجسة الصفراء؟»

«همم، انك ترتدين دائماً ثياباً باللون الأصفر، تماماً مثل النرجسة الصفراء، وهذا اللون يعجبني كثيراً.» ابتسم وهو يغمز لها بعينيه، وكأن ما جرى بينهما من حديث منذ بعض الوقت لم يكن. عادت تنظر إلى الرقائق اليابسة بعد أن تخاطبت عيونهما بشيء رفضت إلف ان تعرفه.

أجابت وهي تدير له ظهرها: «يسرني أن هذا اللون يعجبك.»

جلس ريتشارد، ولاحظ ان إلف تظهر اعجاباً كبيراً بزجاجتي الملح والبهار.

سألها ريتشارد: «تفكرين بسرقتها لتضيفيهما إلى مجموعتك؟»

حوّلت إلف عند ذلك نظرها إلى ابريق الماء، ومدّ ريتشارد يده وتناوله ومن ثم سكب لها منه في كأسها.

قالت إلف، بنبرة باردة: «شكراً لك.»

«انه من دواعي سروري. والآن لو انك تتعطفين وتنظرين إلي...»

لكن إلف لم تستطع النظر إليه، ولكنها كانت ضمناً تريد ذلك، لأنها كانت تعلم أنها لو فعلت، سينهار كل ما عزمت على تنفيذه. وتعلم أيضاً أن نظراته ستقول لها شيئاً لا تريد أن تعرفه.

وصل عند ذلك جيري واليزابيت وقطعا عليهما حديثهما الخاص، وكان وراءهما تشارلز، ولكن من دون ميراندا، ربما قررت أن تتناول عشاءها مع صاحب الساعة الثمينة، فكرت إلف دون أي اهتمام أو اكتراث.

تناولت إلف طعام عشائها وهي تثرثر بحيوية مع جيري واليزابيت وسمعت ريتشارد يهمس لها خلال العشاء بأنه مسرور من شهيتها الممتازة في تناول الطعام، فنظرت إليه بخبث وتعمدت عدم الاجابة.

ابتسم ريتشارد بمرح ثم حول نظراته إلى اليزابيت، ولو ان إلف كانت تنظر إليه في هذه اللحظات، لكانت رأت عينيه الخضراوين تومضان وهو يلتقط قطعة من القريدس ويسحقها بأصابعه.

عندما انتهت من العشاء أسرعت إلف إلى غرفة الزينة، وبعد قليل، وبعدما تأكد لها أن ريتشارد غير موجود، حاولت ان تضيع بين الجموع لتصل إلى الملهى. كان هناك عرضاً لكوميدي وقد أجاد دوره. وكان من الطبيعي أن تقهقه إلف ضاحكة من ذلك، لكنها لم تشعر بذلك في هذه الليلة.

كانت تشعر بالكآبة والقلق من دون سبب وكانت ترغب في معرفة السبب. وقفت ثم قررت التوجه إلى الملهى.

ضاقت أنفاسها بعد مضي عشرين دقيقة من الجو العابق بدخان السجائر، ولم تعد تحتمل البقاء أكثر من ذلك. فقررت

أن تغادر المكان. وعندما كانت تجتاز آخر طاولة ظهرت لها ساقان طويلتان لا يمكنها أن تخطىء صاحبهما.

سأل ريتشارد بلطف: «إلى أين تظنين نفسك ذاهبة، يا رفيقتي الجميلة؟»

ارتبكت إلف، التي كانت تنظر إلى الأرض وخشيت أن تقع على وجهها. قالت بحدة: «انني ذاهبة إلى النوم، ان كان هناك من موجب لتعرف ذلك. هذا ما كنت سأفعله إلى أن اعترضت طريقي.»

بدا ريتشارد بقامته الطويلة وكأنه يطال الأضواء التي في السقف برأسه.

قال لها وهو يمسك بذراعها: «أتشعرين ببعض النكد؟ لا تخشي شيئاً، بإمكاني ان افعل شيئاً لأحسّن مزاجك.»

قالت إلف بحدة: «مثل ماذا؟»

ابتسم لها بخبث قائلاً: «إلى أين قلت انك ذاهبة؟»

تأوهت إلف وعضت على شفتيها كأنها تمنع نفسها عن جواب قد يجعله يتابع سخريته واستهزاءه بها. واشتعلت غضباً وهي تكلم نفسها، من يظن نفسه ذلك المتغطرس والفظ.. والساحر دون شك، وتمنت لو كان بيدها كأس مملوء بالماء لتصبه على رأسه.

كأنه قرأ ما كان يجول في رأسها، فتابع يقول بلطف: «لكن اعتقد بأنني سأترك هذه التسلية في الوقت الحاضر لأنه يجب أن تهدئي أعصابك أولاً، واعتقد ان كأساً منعشاً هو كفيل بذلك.»

قالت إلف حانقة: «لا أريد منك ذلك الكأس.» وكانت تعرف ما قد تفعل بذلك الكأس لو وجد في يدها.

أجاب مستطرداً: «لا تكوني متعبة.» ثم أخذ يدفعها بعناد عبر الغرفة.

فكرت إلف بالرفض، ولكن الحضور كانوا يحدقون بهما، وعضت على شفتها وسمحت له طائعة أن يدفعها إلى زاوية هادئة.

أمرها ريتشارد: «اجلسي.» وعندما لم تصغ إليه رفعها وأجلسها على الكرسي الجلدي الطويل.

قال ريتشارد: «أذكر ان والديك كانا يضربانك في الأوقات التي لا تستطيعين أن تنقلي لومهم عليّ من جراء الأخطاء التي كنت تقومين بها.»

قالت إلف بسخط ونقمة: «لكنني لم ألمك ولا مرة واحدة.»

لوى فمه بمكر قائلاً: «أعرف، وذلك لأنني كنت أكبر سناً منك، وكان الشيء الذي يعجبني فيك أكثر من غيره، هو صدقك واخلاصك. وكنا سوياً نجبر الأكبر منا سناً لتوبيخنا على أفعالنا. كان يمكنك دائماً أن تجدي مخرجاً لذلك التوبيخ، لكنك لم تحاولي ولا مرة أن تنكري ذنبك الذي اقترفتيه، هذه شجاعة منك، طبعاً، لكنه شيء غبي في الوقت نفسه.»

أجابت إلف بعنف شديد: «انك ومن دون شك أكثر سخرية من أي كان قد أصادفه في حياتي كلها، ولم تتغير ولو قليلاً منذ كنت فتى صغيراً.»

أجاب ريتشارد بهدوء: «لكنني تغيرت. ففي تلك الأيام الماضية كنت فتاة عذبة، ولكنني لم أفكر في الزواج منك أبداً. والآن أصبحت نرجسة صفراء اللون وسليطة اللسان ـ ولكنني قررت الزواج منك.»

الفصل السادس

حملت إلف الكأس الذي احضره لها النادل وغصت بعد ان شربت نصفه: «ماذا؟»

قدم لها ريتشارد محرمته الفاخرة، تقبلتها منه واخذت تمسح بها عينيها قائلة: «عن ماذا تتكلم؟ ريتشارد، لا اظن ان ذلك شيء مثير للضحك.»

اتسعت ابتسامة ريتشارد وظهرت اسنانه البيضاء، وعيناه الساحرتان لا تفارقان وجهها، ثم قال: «لم اقصد بما قلته ان اضحك، ولكنني اقر بأنه كان كذلك عندما اقترحته انت بنفسك.»

«اقترحته؟»

«في الحقيقة اقترحته مرتين، لا تقولي انك نسيت ذلك.»

بقيت إلف صامتة ولم تتفوه بكلمة.

بدا غير مبالٍ وهو يقول: «على أي حال، كنت سأقترحه عليك ولكنك سبقتني إلى ذلك. في الماضي، تراجعت لأفكر بروية اكثر، ورأيت بعد ذلك ان الفكرة لا بأس بها وفيها منافع عدة.»

حاولت إلف ان تنهض عن كرسيها، لكنها لم تستطع واحست كأنها التصقت بها بمادة لاصقة، فقالت له: «لماذا تريد الزواج من امرأة تعتبرها سانجة وغير ناضجة عقلياً؟» ثم اضافت ببرودة شديدة: «يبدو ان الضفدعة تحولت إلى امير في النهاية.»

قال ريتشارد مبتسماً: «ليس تماماً. آسف إن كنت قد ضايقتك في البداية، يا إلف. لأنني في الحقيقة وجدتك بريئة وساحرة.»

قالت إلف بخبث: «يا له من عطف وتنازل منك، يا سيد لاسلو. لماذا تريد الزواج مني؟»

تناول قلم حبر فضي من جيبه ونقر به على الطاولة قائلاً: «لماذا يتزوج الرجال عادة؟»

حدقت إلف في وجهه. كان وجهه يخلو من أي تعبير، ولم تستطع ان تميز إن كان سؤالها مهماً له أم لا.

أجابت بحذر: «لأسباب عديدة، على ما اظن.»

«اظن ذلك انا ايضاً، اذكري واحداً منها.»

شعرت إلف ان استياءها وغيظها منه قد تحولا إلى سخط ونقمة ضيقا عليها انفاسها، فقالت له وهي تصر بأسنانها: «حسناً. اعتقد بأنك فكرت أن سنة كاملة دون زوجة أمر لا يطاق، يمكنك ان تختار ميراندا، طبعاً، لكنك تراها لا تطاق، أو ربما اختبرت ما تريده.»

«ربما ماذا؟»

كررت إلف قولها قائلة: «اختبرت ما تريده، اعني من ميراندا وقد حدد الثمن لذلك.» تفوهت إلف بهذا الكلام مع انها كانت تعلم جيداً بأنه لم يتم شيء من ذلك. صحيح ان ريتشارد كان قد راقص تلك الحسناء ذات الشعر الأحمر، واعجب بجمالها، ولكن لا شيء اكثر من ذلك.

«آه.» وضرب بالقلم على الطاولة ثم تابع قائلاً: «وما الذي يجعلك تظنين ذلك يا الفرايد؟»

«لم اقصد ان اقوم باطراء لك.»

«هذا ما اعتقدته.»

قالت وهي ترفع رأسها بتعال وانفة: «كما ان ذوقك في من تختار من النساء ليس من شأني ابداً.»

«على الأقل، ذلك يريحك من عناء التفكير والاضطرابات. واريد ان اقول لك، ان ميراندا تحاول دائماً ان تنشب اظافرها المطلية في ما املكه.»

«إذاً، أنت واحد من هؤلاء.»

وضع ريتشارد يديه على خاصرتيه قائلاً: «هل أنت متبلدة الذهن لهذا الحد؟ فأنا لم اقصد أن أكون واحداً من هؤلاء، حتى ولو انني سايرتها في احدى المرات، لكن تطلعات ميراندا تهدف إلى ابعد من ذلك وهي تبحث عن صيد ثمين في رحلتها هذه ليكون زوجاً لها، انما هذا لا يعني أنني وقعت في حبائلها، ولا يعنيني أمرها أبداً.»

رفعت كأسها وغمغمت قبل ان تشرب منه جرعة: «آسفة.»

«ماذا قلت؟»

اعادت قولها وهي تعلم جيداً أنه لن يدعها تفلت منه وقالت: «قلت انني آسفة. لأنني اعتقدتك انتهازي، ولكنك أغضبتني ودفعتني إلى ذلك.»

طأطأ ريتشارد برأسه قائلاً: «قبلت اعتذارك، وبما اننا انتهينا من تلك المسألة، اسألك، هل هناك سبب آخر من الأسباب العديدة التي اشرت اليها عندما سألتك الزواج مني؟»

فغرت إلف فاها مندهشة، لقد غاب عن ذهنها ما قالته له حول الأسباب العديدة التي تدفع الرجل ليتزوج من أية امرأة فقالت وهي تحدق بصورتها المعاكسة على الطاولة اللماعة: «اعتقد، انه تعذر عليك ان تختار شريكة لحياتك

في ما مضى، لذا وعندما وجدتني، اعتقدت بأنني قد أفي بالغرض.»

اعاد قلم الحبر إلى جيبه قائلاً: «وهل انا غبي لأصدق ان فتاة سليطة اللسان مثلك، مشككة وطائشة، قد تفي بالغرض.»

«انني لست...» بدأت إلف بالكلام ثم توقفت لأنها تعرف انه كان يراها دائماً كما وصفها. وعلى اية حال، لم تكن ما تظنه فيه افضل مما يظنه بها، لذا قالت له: «لا اعتقد انني كما وصفتني.»

«كنت متأكداً من ذلك، ولهذا سأعطيك بعض البراهين.»

«براهين؟»

«أجل. هل تذكرين لماذا تشاجرنا في اليوم الذي وقعت فيه في النهر؟»

أجابت إلف بشك: «لا، وما علاقة ذلك بالذي...»

قاطعها ريتشارد قائلاً: «هناك علاقة كبيرة، فقد سألتني يومها ان اتزوج منك، وانا رفضت.»

«ماذا؟» ومالت إلف إلى الأمام قليلاً وامسكت حافة الطاولة بعصبية قائلة: «انني لم...»

«نعم لقد فعلت ذلك، وضحكت كثيراً وقتها وقلت لك ان الفتيات في سن الحادية عشرة لا يمكن ان يتزوجن، وإلى ان تكبري أكون أنا قد تزوجت وانتهى الأمر. وقتها فقدت اعصابك وركلتني بقدمك مما جعلني افقد اعصابي أنا الآخر.»

قالت إلف ببطء: «نعم، لقد تذكرت الآن، ولهذا السبب كنت غاضباً جداً مني.»

«لذلك قلت لك قبل الآن، هناك بعض الأمور لم تنته بعد في ما بيننا.»

«ماذا تقصد؟»

«اقصد بأنك طلبت الزواج مني في السابق، انا اوافق الآن بالرغم من انه قد مضى على ذلك وقت طويل، ولكنني قررت ووافقت على طلبك.»

«لا تكن سخيفاً، كنت صغيرة عندما طلبت ذلك منك.»

«أعرف ذلك، لكنها كانت اشارة ملفتة وحساسة منك، وبالاضافة، فقد اعدت عليّ الطلب. كما انني افضل ان اكون متزوجاً من ان لا اكون، وبما انني اعرفك منذ وقت طويل، استطيع ان اعي المسائل أكثر.»

«تعنيني أنا بالمسائل، على ما اعتقد.»

«تماماً.»

«ما هي دوافعك الأخرى لأوافق على الزواج منك؟»

«آه، لأول مرة اراك على حق. اود ان اشاركك لياليك.» مال نحوها ثم لمسك بيدها قائلاً: «ومهما حاولت ان ترفضي ذلك ظاهرياً، فأنا اعرف انك تريدينه من صميم قلبك.»

تورد خدا إلف خجلاً وقالت: «انك شديد الثقة بنفسك، اليس كذلك؟ اتساءل، هل يدهشك ان تعرف أنني انا المرأة الوحيدة التي لا تجدك الرجل الذي يمكن مقاومة سحره، واقول لك انك آخر من اتمنى في ان اراه بجانبي عند الصباح.»

ابتسم ريتشارد ابتسامة باردة وابعد يدها من يده ثم تكلم وكأنها لم تنطق بكلمة واحدة: «برهان آخر لك، أعلم أنك تريدين ان يكون لك اولاداً وكنت قد قلت ذلك مرة، أنا أيضاً اتمناهم. ولم احظ بأولاد من فيليستي.»

«آسفة لأنك لم تحظ بأولاد من فيليستي.»

قال غير مكترث: «لقد تدبرنا أمرنا بدونهم، لكن في ظل هذه الظروف، لا أرى اي سبب يمنعنا من ان نقوم ببعض التحضيرات

لذلك.» واقترب منها على حين غرة وأمسك بوجهها.

ابتعدت إلف قليلاً عنه. هذا كثير. فكيف يتجرأ ان يطلب الزواج منها وهو لا يحبها، بل لأنها سحرته كشريكة لياليه ولكي تنجب له اولاداً؟ ولم تستطع ان تفسر قصده بأكثر من ذلك.

ادركت انه يجب ان توضع حد لهذه المناقشة بينهما، فهمست بصوت خفيض وبشفتين متقاربتين لبعضهما: «انني لن اتزوج منك، يا ريتشارد لاسلو.»

قال ريتشارد بهدوء: «هل هناك أي سبب آخر عدا عن انني رجل غيرممكن مقاومة سحره؟»

كانت إلف في حالة انفعال شديد لتلاحظ النبرة الثورية في كلماته، لكن لم تُخْفَ عليها الناحية الساخرة منها.

أخذت إلف نفساً عميقاً وأجابت: «نعم، هناك عدد من الأسباب، السبب الأول، انك لا تحبني ـ كما انني لا احبك. والسبب الثاني، هو انني لا اريد الزواج لا منك ولا من اي رجل آخر، والسبب الثالث، انك رجل لا يطاق، مغرور ومتباهٍ بنفسك إلى حد كبير وتعتقد انك بإشارة من اصبع يدك، يمكنك ان تحصل على المرأة التي تريدها لتهرع وترتمي عند قدميك، والسبب الرابع، انك حتى لا تعجبني.» وتوقفت لأنها لم تستطع ان تستوعب اسباباً اكثر من التي ذكرتها.

«لا اعجبك؟ اعتقدت عكس ذلك.»

قالت إلف وعيناها تتسعان بدهشة: «ماذا؟»

«اعتقدت انك معجبة بي. لطالما كنت معجباً بك ـ ولأسباب عدة لا يمكن ان اشرحها لك.»

قالت وقد اخذتها الدهشة: «لا يمكن ان تكون جاداً في ما تقوله!»

«انني فعلاً كذلك، لكنني مازلت اعتقد بأنك معجبة بي.»

وبدا عليه عدم المبالاة وهو يتابع كلامه: «لكن يبدو انني لم اعالج هذا الأمر كما يجب.»

قالت ببرودة شديدة: «انني لست امراً ما للمعالجة.»

قال بابتسامة كئيبة: «وهل قصدت انك كذلك؟»

«بدا لي كذلك، وإذا تابعت كلامك على هذا النحو الاحمق، فإنني سأترك المكان.»

قال بهدوء: «لا أحد يتمسك بك.»

لكن نظراته المطولة اليها، جعلتها تتسمر في مكانها، ولو حاولت ان تتحرك لما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

قال ريتشارد بينما هي تحاول جاهدة ان تبقي نظراتها بعيدة عن عينيه: «اريد ان اوضح شيئاً واحداً قبل ان تذهبي.»

«لا، لقد سمعت بما فيه الكفاية لغاية الآن، عمت مساءً.»

مشت نحو السلالم لتنزل إلى حجرتها الخاصة ورفضت استعمال المصعد، وكانت تتعثر في خطواتها كأن أحداً ما يجري وراءها. لكنها عندما وصلت إلى باب حجرتها شعرت فعلاً انه وراءها.

ضغط ريتشارد على رسغها بينما كانت تضع المفتاح في الباب وقال: «اسمعي. أعرف أنك لا تريدين ان تصغي إلي، لكنك يجب ان تفعلي هذا، يا الفرايد.»

رفعت إلف نظرها إليه قائلة: «حسناً، هيا تكلم.»

«افتحي باب حجرتك، إذاً.» قال ذلك وحرر رسغها من يده ليشير بها إلى المفتاح الذي في يدها.

قالت وقد استعادت بعضاً من قواها بعد ان حررها من

قبضته: «لا. قل ما لديك هنا وبسرعة، وبعد ذلك اريد ان اذهب إلى الفراش... لكن بمفردي.»

لوى بشفتيه قائلاً: «حسناً، إذا كان هذا ما تريدينه.»

«اصغي إليّ، يا إلف.» قال ذلك وعيناه في عينيها، ويداه تمسكان بكتفيها.

قالت وقد شعرت أنه على وشك ان يفقد أعصابه: «أصغي اليك لأنه لا خيار لي غير ذلك.»

«هذا صحيح، فلا خيار لك غير ذلك، المسألة هي انني على ثقة بأننا نليق لبعضنا البعض يا إلف. واقر بأنني لم افكر بما يتعلق بمستقبلي منذ اليوم الذي توفيت فيه فيليستي، ولكن آن الآوان لذلك، وكنت افكر بهذا الأمر اليوم بالذات.»

قالت بمرارة: «شيء جميل فعلاً. لكن لماذا؟»

شدد امساكه بكتفيها دون ادراك ووعي منه وقال: «كنت افكر في الماضي، وكان هذا اليوم ذكرى زواجنا العاشرة، نمضيه دائماً مع بعضنا.»

قالت إلف: «آسفة. لكن، لماذا طلبت الزواج مني اليوم، يا ريتشارد، وليس من قبل؟»

«لِمَ في هذا اليوم؟ يبدو لي انه الوقت المناسب لكي نبدأ من جديد. واريد ان اقول لك، ان فيليستي لم تكن قط عنيدة ومتسلطة، بل كانت متفهمة ومتوافقة.»

«آه، وهل كنت تتصور بأنني سأكون متوافقة أنا ايضاً؟»

«أنت، يا عزيزتي إلف، وحيدة في هذا العالم وليس لديك مهنة ثابتة لتعتمدي عليها، فإذا احببت ان تبدئي اي عمل كان، فلن اعترض زوجة تحب ان تعتمد على نفسها بل حتى سأساندك، كما انني اعتقد بأننا نفهم بعضنا سواء اعترفت

بذلك ام لم تعترفي. وسأمنحك الأمان وبيت يأويك، وكذلك كل اسباب الراحة.»

«فوق كل هذا، انك لا تحبني.»

«حب؟» قال هذه الكلمة بازدراء واحتقار ثم تابع يقول: «من المؤكد... هذا لا يهم، بما انك اكدت لي بأنك لا تحبينني كذلك، فهذا ما يسوي المسائل بيننا.»

حدقت إلف في وجهه قائلة: «لا، يا ريتشارد، ان ذلك لا يسوي الأمور بيننا، كما انني لا اريد ان اتزوج من أجل الاقتناع والتوافق، ولست ادري لماذا ترضى بهكذا نوع من الزواج.»

تمتم ببرودة شديدة: «الاقتناع والتوافق؟ ما الذي يؤكد لك بأنك ملائمة؟»

قطبت إلف حاجبيها ولم تدر ما كان يقصده من وراء ذلك ثم قالت: «الهذا السبب تزوجت من فيليستي؟ فقط لأنك رأيت انه آن الآوان لك لتتزوج؟»

«لا، لقد تزوجت من فيليستي لأنني كنت ما أزال شاباً مندفعاً ورومانسياً وكانت هي في تلك الاثناء حامل، وشعرت ان الفتاة التي تسكن بجواري واقعة في مشكلة اقنعت نفسي بعد ذلك في اني احبها، ولم أكن أعرف ان الحب لا وجود له الا في الروايات وحلم من احلام المراهقين والمراهقات.»

اجفلت إلف قائلة: «هل الطفل، كان طفلك؟»

«لا، والده رجل متزوج من سيدة تربي الخيل.»

هزت إلف رأسها بانفعال ثم قالت: «ريتشارد...» ورفعت يدها تريد ان تلامس خده، لكنها اعادتها سريعاً وقد ادركت

ماذا كانت تفعل. وتابعت تقول: «يا لها من حيرة دفعت بك إلى ابعد الحدود باسم المراهقة المعذبة.»

وافق وابعد وجهه قليلاً عنها: «اعرف. كنت في تلك الأيام عاشقاً بكل معنى الكلمة واستطعت ان اقنع فيليستي ان تراني فارساً لأحلامها وقد انقذت اسم عائلتها من التمرغ في الوحل، لكنها عندما فقدت طفلها، لم يتحول حبها إلي، بل إلى الخيل.»

تأملت إلف وجهه، لاحظت تصلبه وقد وصل بكلامه إلى هذا الحد ثم قالت: «اذاً، انتما لم تكونا سعيدين؟»

هز بكتفيه غير مبالٍ وقال: «لماذا تسألين عن السعادة، هل ذلك يهم؟»

قالت: «نعم، اظن ان ذاك يهم فعلاً.»

«إذاً، نعم، لقد كنا سعيدين، ولِمَ لا نكون؟»

كانت فكرة ريتشارد مبنية على ان الزواج بين اثنين لا يكتمل سوى بالمادة وهذا شيء يختلف كثيراً عن فكرتها هي بالزواج، وقد اعتبر ايضاً ان الزواج تدبير مثل كل التدابير العملية التي يقوم بها في مهنته، وقد يكون في وقت من الأوقات اعتبر نفسه عاشقاً وفارس احلام فيليستي ضارباً المادة عرض الحائط لكن سخرية الأقدار قلبت اموره الى الأسوأ.

قالت بتململ وضجر: «إذاً كان ذلك كل ما أردت ان تقوله لي. اعتقد والحالة هذه بأن الحديث قد انتهى في ما بيننا. لقد تزوجت مرة من اجل اسباب تافهة وخاطئة، ومن المؤكد انك لا تريد ان تقع مرة اخرى في الخطأ نفسه.»

قال باختصار: «انك على حق، فأنا لا اريد ان يحصل ذلك مرة أخرى.»

«إذاً، فأنا لا أرى...» توقفت وكان شيئاً في داخلها لربما الأمل، منعها من متابعة ما كادت ان تقوله، فقالت عوضاً عن ذلك وهي تتجنب النظر في عينيه: «هل هناك سبب آخر دفعك لتتوصل إلى هذه الأفكار المجنونة؟»

اندفعت في تلك الأثناء موجة كبيرة جداً من تحت السفينة، مما جعل إلف تفقد توازنها وتتمسك بذراعي ريتشارد، ولما نظرت بعد ذلك إلى وجهه، خافت مما قرأت في ملامحه.

«تريدين سبباً آخر؟ حسناً. ما رأيك بوالدتي التي تريد احفاداً لها؟ فهي تتقدم في السن، والسنوات تجري بسرعة واندفاع، كما ان صحتها لم تعد كالسابق.»

اغمضت إلف عينيها قائلة: «ريتشارد، لا يمكنك ان تتزوج من اجل صحة والدتك فقط، وانا لا يمكنني الزواج فقط من اجل الحماية، ولأجل بيت كبير وامامه حديقة غناء.»

قال ساخراً: «يا لمبادئك العالية.»

ما جاء في نبرة صوته جعلها تتوقف عن التفكير وترفع يدها لتصفعه على وجهه، لكنه كان اسرع منها وامسك يدها التي امتدت إلى وجهه ثم احنى وجهه وقبلها دون ان تستطيع مقاومته.

تركها ريتشارد فجأة كما قبلها فجأة قائلاً بلا مبالاة: «ان هذه القبلة كي تتذكريني ولا تنسيني.» أحست وكأنه أبعد عنها كل الاحلام التي دارت في رأسها لفترة قصيرة. ثم قال: «عمت مساءً.»

تركها ريتشارد ومشى بخطوات واسعة وسريعة مبتعداً عنها. فتحت إلف باب حجرتها والدموع تنهمر بغزارة على

خديها وهي لا تشعر بها إلى أن سقطت بعض من تلك الدموع على يدها، فحدقت بها بذهن مشوش.

بعد مرور يومين، وفيما كانت إلف تقف على سطح السفينة تتأمل أمواج البحر، تمايلت السفينة فجأة بقوة واختل توازنها ثم ضربت بالحائط بعنف.

«ما الأمر يا عزيزتي؟ هل في استطاعتي ان اقدم لك اية مساعدة؟ لقد لاحظت مؤخراً بأنك لم تكوني في حالتك الطبيعية كعادتك.» اخترق صوت اليزابيت اللطيف هدوء أفكارها. التفتت وقد كانت تحدق طويلاً في أمواج البحر المتعاقبة فرأت السيدة الأكبر سناً تنظر إليها بعطف.

سألت إلف وهي تمسك بدرابزين السفينة: «ألم اكن في حالتي الطبيعية؟ لم انتبه لذلك... اعتقد انني كنت اعاني من الكآبة النفسية.»

ابتسمت اليزابيت قائلة: «آه، من المؤكد انك كنت مكتئبة، وحالمة طوال الوقت، ولاحظت انك ترتدين ملابس ذات اللونين الأبيض والأسود، فهل انت في حداد؟»

ابتسمت إلف وهي تشعر بالذنب تجاه السيدة اللطيفة والتي تبدي اهتمامها لها وعطفها البالغين: «آه، يا عزيزتي. آسفة، فأنا لم اقصد ان اجعلك قلقة عليّ. لا، أنا لست في حداد.»

لكنها كانت في حداد وبطريقة ما، فكرت إلف في نفسها وعادت افكارها الى ما حدث منذ ليلتين مضتا، عندما طلب ريتشارد الزواج منها. ومنذ تلك الليلة قررت ان لا ترتدي اللون الأصفر او المائل إلى اللون الذهبي مع انهما اللونان المفضلان لديها ـ وذلك لأن ريتشارد كان قد وصفها

بالنرجسة الصفراء وقال بأنه يفضلها باللون الأصفر.

تذكرت كيف انه تركها غير مبالٍ، وبكلمتين فقط هما، عمت مساءً، وكيف دخلت باكية ومنهارة إلى حجرتها واوصدت بابها. ولما هدأت وعاد اليها التفكير بوضوح وجلاء، فكرت بأنها عادت ووقعت في الخطأ نفسه، الخطأ الأول كان مع هاري والثاني مع طوني، وها هي تعود الآن وبغباء شديد منها لتقع مرة ثالثة في الخطأ نفسه ولكن مع ريتشارد لاسلو. ولوقوعها في تلك الأخطاء ثلاث مرات متوالية سبب جوهري واساسي، فهي امرأة وحيدة تعوزها العاطفة والحماية والرعاية.

نعم، لقد وقعت وللأسف مرة ثالثة في حب اقوى واعنف من السابق، وادركت أنّ عليها ان تحكم العقل وتحسن التدبير اكثر من اي وقت آخر. صحيح انه معجب بها ويريد الزواج منها لأنه يرى ان الزواج امراً لا مفر منه وضروري لتكوين عائلة وانجاب الأولاد، لكنه لا يحبها بل ينظر إليها باعجاب وتسلط بالطريقة ذاتها التي يحب فيها أحجاره الكريمة.

عاد صوت اليزابيت يعيد إلف إلى ما يحيط بها وقالت: «هل ما يحصل لك يعود إلى ريتشارد؟»

أجابت إلف بسرعة: «لا، لا، طبعاً، فقد كان ريتشارد ممتعاً ومؤدباً معي.»

كان ريتشارد ومنذ تلك الليلة التي طلبها فيها للزواج، لم يبذل اي مجهود في الجري وراءها أو التحرش بها مرة أخرى، وكانا إذا التقيا في احدى ممرات السفينة، يحني رأسه باحترام وادب مثلها مثل اي راكب آخر.

قالت اليزابيت وهي تنظر إلى إلف بشك وكأنها لا تصدق ما قالته: «يبدو لي أنك لا تريدين التكلم بهذا الأمر؟ ان جيري في قاعة الرياضة الآن ويقف على رأسه كالعادة، لذا هناك وقت لدي لأستمع اليك.»

ضحكت إلف قائلة: «شكراً لك، واؤكد لك بأنني بخير، وسوف اتمرن على لعبة الغولف بعد قليل.»

ربتت اليزابيت على ذراعها قائلة: «اعرف أنك كنت منشغلة جداً مؤخراً، وشاهدت الأفلام ولعبت بالورق، وشاركت بالمحاضرات.»

وافقت إلف بسرعة: «نعم. أحب دائماً ان اشغل نفسي.»

كان الانشغال هو الحل الوحيد ليبعدها عن هواجسها وافكارها وعن الحلم الرائع الذي قدمه ريتشارد لو كان بأسلوب مختلف. لكنها من غير الممكن ان تخبر اليزابيت بذلك. كانت تحمل همومها وهواجسها لوحدها ولا تشكو لأحد عما تعانيه منذ وفاة والديها، واعتادت ان تعالج كل ما يصادفها بنفسها، فما من سبب وجيه لتتخلى عن هذه العادة الآن.

فهمت اليزابيت الأمر اكثر وعادت تربت على ذراع إلف مرة ثانية معزية، وتمنت لو ان جيري الآن واقفاً على قدميه لا على رأسه.

قالت اليزابيت: «انه ينقاد بسرعة ولا أظن ان هذا جيد بحقه، من الصعب ان يقوم المرء بحديث مع قدمين.»

قهقهت إلف ضاحكة، وشعرت في نفسها بنوع من الحسد والغيرة من جيري واليزابيت، فهما بالرغم من كبر سنهما، لا يزالان يحبان بعضهما وسعيدين إلى ابعد حدود السعادة.

نكرت إلف نفسها بأنه يجب ان تحاول عدم التفكير بالحب، فقد خلق الحب لأشخاص آخرين محظوظين وليس لرجل ساخر بالحب وقوانينه مثل ريتشارد.

كان اليوم التالي من هذه الرحلة، هو اليوم الأخير لترسو فيه السفينة اخيراً في مرفأ ساوث امبتون. مارست إلف لعبة الغولف عدة مرات ولعبت الورق، وشاهدت المزيد من الافلام التي عرضت في السفينة.

قضت وقتاً طويلاً قبل ان تستسلم لنوم مقلق. وبدأت تحلم بريتشارد. رأته يقف فوق جسر ويتنكر بلباس طبيب ساحر، وبعد ذلك لم يعد ذلك الطبيب الساحر ريتشارد، بل تحول إلى قبطان السفينة وكان يتكلم ويصدر الأوامر بصوت أجش وبطيء.

استيقظت إلف مذعورة وبرغبة شديدة للعودة إلى النوم، وانتبهت إلى ان صوت القبطان يتابع كلامه مع انها كانت قد صحت من ذلك الحلم.

«أكرر، هنا القبطان يتكلم معكم، هناك حريق في غرفة المحرك، وسوف نعالج الأمر بأسرع ما يمكن، ابقوا في حجراتكم واتركوا الأبواب مقفلة، ولا داعي إلى الارتباك والخوف. ارجو منكم ان تلزموا اماكنكم وان تنتظروا التعليمات اللاحقة. اكرر القول، لا داعي للخوف والاضطراب.»

الفصل السابع

كرر القبطان رسالته على الركاب مرتين ليتأكد من أن الجميع قد التقطها.

فكرت إلف عظيم، لم تضطرب أو ترتاع، كانت رسالة القبطان رائعة بالنسبة إليها، فهي وفي كل الأحوال، لا ترغب في ان تفتح باب حجرتها وتخرج منها وستلازمها إلى أن تنتهي حالة الطوارىء هذه، ويعلن القبطان انه قد اصبح في امكانها وفي امكان أي مسافر آخر الخروج من حجرته.

غادرت سريرها وتقدمت من الباب لتصغي إلى ما يدور ويجري خارج حجرتها، فتناهى إلى سمعها أبواب تقفل بعنف وصوت صارخ. خيم بعد ذلك صمت عميق، ولم تسمع أصواتاً أخرى تصرخ خائفة من هذه الحالة الراهنة، كما انها لم تسمع طقطقة الاشياء المحترقة، وغاب صوت الانسان الذي انزوى خائفاً في حجرته.

التفتت إلف إلى مكبر الصوت في حجرتها وكأنها تتوقع منه أن يصدر رسالة أخرى من القبطان، إلا أنه ظل صامتاً بانتظار تعليمات أخرى.

فكرت إلف أن تنزع عنها رداء النوم وترتدي اي ثوب عادي، لكن ان كان الموت قد بات قريباً، فهل يهم عند ذلك اي ثوب ترتديه.

أخذت ستائر الحمام تطقطق باز عاج مما سبب اضطراباً

في نفس إلف، أحست فجأة بشوق لريتشارد ولو انها كانت معه في هذه اللحظات الحرجة. لو انها قالت نعم ووافقت على طلبه بالزواج منها، لما كانت الآن وحيدة والهواجس المقلقة تعصف بها، بل كانت بين ذراعيه مطمئنة سالمة.

عضت على شفتها وحدقت بباب حجرتها بكآبة وخوف وحاولت ان تبعد افكارها عن الحريق الواقع في السفينة لكن دون جدوى. وتساءلت عن شعور بقية المسافرين من ذلك، هل انهم استسلموا للأمر الواقع وبدأوا يكتبون وصيتهم بعزيمة ورباطة جأش؟ لا بد ان جيري واليزابيت يقومان بذلك الآن، وسعداء لأنهما سيرحلان معاً عن الدنيا. من المؤكد ان تشارلز.ب. ووتربوش يحصر اهتمامه الآن بآخر وجبة طعام له. لكن ماذا عن ميراندا؟ وما هو شعورها الآن؟ ربما انها تكتب رسالة شكوى الآن تتذمر فيها من المعاملة التي تتلقاها من هذه السفينة، وستقول للجميع غداً ان سفينة صان شاين التي اعتادت ان تسافر على متنها، لا تسمح ابداً لأن تندلع النار فيها.

ارتجفت فرائصها بينما كان الصمت مستمراً بقسوة. كانت تجلس ملتصقة بحافة سريرها بتوتر شديد، فقررت اخيراً ان الاستلقاء على السرير هو افضل ما يمكن ان تقوم به.

لكنها رفعت رأسها سريعاً وعادت تجلس على حافته من جديد. تنبهت لصوت خشخشة تصدر عن مكبر الصوت كاسراً الصمت الرهيب والموحش، ثم سمعت صوت القبطان يتكلم من جديد، وهو يعلن ان فريق الاطفاء تمكن من السيطرة على النيران وتم اطفاؤها. واعلن للجميع بانهم قد اصبحوا بأمان الآن وأصبح في امكانهم أن يخلدوا للنوم العميق.

تنفست إلف الصعداء وهي تشعر براحة كبيرة لم تشعر بمثلها من قبل. لكن وبعد لحظات قليلة، قررت ببلادة، ان لا تصدق ما اعلنه القبطان، ظنت ان النيران ستندلع مرة أخرى مع ان القبطان اعلن في مكبر الصوت ان كل شيء على ما يرام وطلب منهم أن يعودوا جميعاً إلى النوم. وتحولت عدم ثقتها بكلامه إلى سخط ونقمة.

قالت متذمرة بسخط وهي تنظر إلى مكبر الصوت: «لقد كنت نائمة في فراشي عندما اخذ صوتك يعلو أيها القبطان. والآن وبعد ما سببته لي من خوف وقلق لا أعرف طريقاً للنوم.»

تناهى على مسمعها باب وآخر يفتحان في الخارج، واصوات تقهقة ضاحكة بصخب، كيف لا وقد نجوا من الحريق وكتب لهم عمر جديد، وسمعت من بين الاصوات صوتاً تألفه وتعرفه حق المعرفة.

أسرعت تنزع عنها رداء النوم لتلبس تنورة سوداء، ثم سمعت قرعاً متواصلاً على باب الحجرة.

صاحت وهي تلبس قميصاً قطنياً: «من هناك.»

«أنا ريتشارد، افتحي الباب.»

ضاقت أنفاس إلف، انه الصوت الذي ترغب في سماعه أكثر من غيره من الأصوات، فسمحت له بالدخول.

دخل ريتشارد بسرعة، ثم ركل الباب من ورائه واقفله بقوة. اخذت إلف تنظر إليه بحذر بينما اسند هو ظهره إلى الحائط، كان هو الآخر يحدق فيها وقد لف ذراعيه على صدره.

قال بعد لحظات قليلة وفي صوته شيء مروّع لم تألفه قبل الآن: «هل أنت بخير؟»

قالت إلف: «نعم. انني بخير،» ثم لاحظت انه ما زال

يرتدي تلك السترة البيضاء التي كان يرتديها منذ آخر لقاء كان بينهما.

قال لها أخيراً: «أرى أنك فعلاً بخير.»

قالت مطأطأة برأسها: «طبعاً أنا بخير، وهل يهمك هذا الأمر؟»

وضع ريتشارد يديه على كتفيها واخذ يتأمل ملامح وجهها: «هل اسمع في صوتك نبرة ساخرة؟ ان كنت تسخرين فعلاً، فان ذلك لا يليق بك أبداً. بالمناسبة، لم لا يهمني أمر رفيقة درب الطفولة؟»

قالت بغباء شديد منها، لأنها لم تجد شيئاً آخر لتقوله: «أرى انك لم تذهب إلى فراشك بعد.»

رفع ريتشارد حاجبيه متعجباً وقال: «وأنت يظهر انك تنامين بكامل اناقتك، يا لك من فتاة مليئة بالأسرار والمفاجآت.»

ارتبكت إلف بعصبية قائلة: «لا. أنا لا أنام بالطريقة التي ذكرتها. وانت، أراك مسرح الشعر، وربطة عنقك مستقيمة وكأنك ربطتها الآن. ومازلت محافظاً على أناقتك ونظافتك، لذا...» توقفت وقد ادركت انها تتكلم بكلام لا معنى له لارتباكها الشديد من وجوده في حجرتها.

«لقد وجهت إليّ ملاحظات عديدة في حياتي، لكن ليس بالنسبة إلى اناقتي ونظافتي. يا عزيزتي إلف، أعتقد ان الحالة الطارئة التي مررنا بها منذ بعض الوقت قد اثرت على عقلك.»

سألته إلف: «تعني انني مغفلة؟»

انبأتها غريزتها أنه يريد ان يقبلها بينما شعت عيناه بوميض غريب.

تأوهت إلف ولم تدر في ما لو تستسلم لقبلته أو أن تصفعه على وجهه، قررت اخيراً ان تركله على ساقه، لكنها اخطأتها.

قال بلطف: «حاولي ذلك مرة أخرى وسوف أقطع ساقك.»

نظرت إلف إليه وهي لا تصدق ما يقوله، وقرأت في عينيه الخضراوين السخرية والنصر.

«أعتقد أنك كنت أقل كرهاً في تلك الأيام التي اعتدت فيها ان تشد لي شعري كلما كلمتك بوقاحة.»

قال لها وكأنما يعرض عليها خدمة ما: «سأشد شعرك من جديد ان كنت ترغبين بذلك.» ثم مد يده إلى شعرها الأجعد وداعب خصلاته، ثم احنى رأسه وقبّلها. ابتعد عنها بعد لحظات ليتركها تغرق في بحر من الحيرة والاتباك، وألّم بها دوران في رأسها. ولكن عندما عادت إلى طبيعتها وصفاء ذهنها، وجدت ان عينيه الخضراوين كانتا تنظران إليها بشغف.

حدقت به بصمت ورأته يضع يده على رأسه كأنه يفكر بشيء ليقوم به. حبست إلف أنفاسها وقد رأت في ملامح وجهه تصميم وعزم... وبينما هو على هذا الحال، سمع شيئاً يرتطم بباب حجرتها من الخارج ومن ثم صوت يئن ويتأوه.

كان صراخ الابتهاج الذي تلا نهاية حالة الطوارىء، قد اختفى ليحل مكانه صراخ حاد وكأن صاحبه في حالة خطر شديد.

«النجدة! ان السفينة تغرق. ساعدوني... آه، لقد التوى كاحلي، انجدوني، فأنا لا أريد ان اموت. النساء والأولاد أولاً...»

كان الاداء جيداً وعظيماً... شعرت وكأن التوقيت له،

مدبر عن سابق تصور وتصميم من ميراندا التي رأت ريتشارد وهو يدخل إلى حجرتها.

نظر ريتشارد إلى إلف ثم هز كتفيه غير مبالٍ وقال: «هل نتجاهل هذا الأمر؟»

بدت إلف وكأن تفكيرها قد شُلّ ولم يعد في امكانها ان تجيب عن سؤال ريتشارد، لكنها ادركت ان هناك أموراً كثيرة تتوقف على اجابتها. مسحت جبينها بيدها كأنها تبحث عن جواب سريع وقالت: «انني... انني...»

قال ريتشارد ببرودة وكأن ما يدور خارج الحجرة ليس من شأنه: «نعم؟»

قالت بهدوء: «لا، لن نتجاهل هذا الأمر. وقد يكون هناك فعلاً امراً طارئاً.» شعرت بالاحراج المربك عندما التقت نظراتها بنظراته الساخرة.

ابتسم لها بعد ذلك وانحنى باحترام مصطنع ثم قال: «حسناً، يا آنستي. ففي هذه الحالة، اعتبر ان المهمة قد أرجئت إلى أجل غير مسمى.»

خرج ريتشارد من الغرفة بسرعة وصفق الباب وراءه بعنف قبل ان تتمكن إلف من التفوه بكلمة واحدة.

تعالى في تلك الاثناء صراخ ميراندا أكثر من الأول.

خرجت إلف في الوقت الذي صدر عن ميراندا انين خافت بينما كان جسدها يرتعش ارتعاشاً كاذباً والنساء يلتففن من حولها. كانت تلتصق بالحائط بخوف وقد وضعت يدها على وجهها، لكنها عندما ابعدتها ظهرت وجنتاها متوردتان بلون احمر قان. وأخذت تحدق في وجه ريتشارد الذي كان يقف امامها ماداً يده ليساعدها على النهوض.

همست ميراندا: «لقد ضربني.» ورأت أن تشارلز.ب. ووتربوش هو الرجل المشار إليه، كان يحدق بيده وفاغراً فاه بدهشة وغباء.

غمغم تشارلز: «لم اقصد ذلك. لقد كنت في طريقي إلى المطبخ، فسمعتها تصرخ بصوت رهيب، عندها، اضطررت لأن اوقفها عند حدها...»

قاطعه ريتشارد قائلاً: «لا تقلق من ذلك، فمن الضرورة ان يوقف اي شخص صوتها الهيستيري.»

ابتسمت ميراندا بجبن وهي تنظر إلى ريتشارد ثم قالت: «أنا أعلم انه لا يمكن أنت بالذات ان تضربني، لا أدري ماذا حصل، وقد شعرت بالخوف فجأة فصرخت مستنجدة، ثم جاء هذا الرجل و...» والتفتت إلى تشارلز مقطبة الجبين، وعادت تنظر إلى ريتشارد قائلة: «آه، لا أدري ما كنت سأقوم به، لو انك لم تأت...»

غمغمت إلف: «أعتقد انك كنت ستواصلين صراخك الذي يوقع القرف في النفوس.»

نظر ريتشارد حوله ووقع نظره على إلف فقرأت في عينيه تأييداً لما قالته، ثم عاد لينظر إلى ميراندا.

أكد لها ريتشارد بخشونة: «لقد اخمدت النيران، والباخرة لم تغرق، فليهدأ بالك الآن.»

ضحكت ميراندا بدلال قائلة: «نعم، ذلك لأنك إلى جانبي، وغداً سنكون جميعاً بأمان في بريطانيا. اعتقد انه يجب ان نلتقي دائماً في لندن، اليس كذلك، يا ريتشارد؟» ولمست ذراعه بيدها بتحبب وتملق.

شعرت إلف بالتعب وقررت الدخول إلى حجرتها، ولم

www.elromancia.com

تسمع رد ريتشارد على ميراندا. فلو بقيت في مكانها تصغي إلى تملق ميراندا العذب لريتشارد، فهي لن تتحمل عند ذلك نتيجة افعالها. اخذت نفساً عميقاً وعادت بهدوء إلى حجرتها الخاصة واقفلت الباب خلفها.

اعتقدت بعد مضي بضع دقائق وكأنها سمعت قهقهة ريتشارد. تعالى من جديد صوت الركاب المحتفلين بنجاتهم، ثم تلاشى صوتهم تدريجياً وهم يبتعدون عن حجرتها إلى مكان آخر.

كان صوت البحر يتناهى إلى مسمعها، يرافقه صوت صرير السفينة المتواصل.

عادت إلف إلى سريرها، لكن ليس لتنام، بل لتراجع في ذهنها ما كان لها مع ريتشارد قبل ان يتعالى صوت ميراندا المزعوم، لو ان ميراندا لم تصرخ، فهل كانت ستسمح لريتشارد في ان يبيت ليلته عندها؟ هل كان يهمه امرها؟ لقد جاء إليها فقط بدافع ما كان لهما من صداقة في طفولتهما، لكنه لم يتصرف معها الآن كصديق...

تثاقلت عينا إلف بالنعاس بعد فترة طويلة من التفكير راجعت فيها الحسابات، وتهيأ لها انها سمعت طرقاً على باب حجرتها، فأصغت بحواس مشدودة، لكنها لم تسمع طرقاً آخر. وقررت ان ذلك الصوت لم يكن سوى صوت جرذ. التفتت بتردد حولها قائلة في نفسها. لا، من غير الممكن ان يكون في سفينة حديثة كهذه جرذان. لا بد وانها كانت تحلم، فتقلبت في فراشها عدة مرات ثم اغمضت عينيها ونامت.

أسرعت إلف صباح اليوم التالي لتتناول طعامها وفي نفسها ترقب وحذر. انها لم تكن تتوقع عودة ريتشارد إليها

مساء البارحة، لكنها استيقظت اليوم وبها أمل باسم يحمل وعداً لها... وعداً وحلماً لم تشعر بهما من قبل ولا تعرف سبباً لهما، لكن شيئاً في داخلها كان يؤكد لها ذلك.

عندما وصلت إلى غرفة الطعام، لم تجد ريتشارد، وقد سبقها جيري واليزابيت إلى الطاولة وتشارلز.ب. ووتربوش الذي كان منهمكاً في تناول رقائق الكرواسون مع مربى الفريز بينما ينتظر وصول البيض المقلي وأشياء اخرى محلاة.

ظهرت ميراندا عندما كانت إلف تجلس إلى الطاولة، وكانت ترتدي ثوباً اخضر متوهج اللون، أظهر اناقة ملفتة للنظر أكثر من الذي كانت ترتديه إلف. بدت مبتسمة وهي توزع نظراتها على الجميع، إلى أن وقع نظرها على تشارلز فتحولت ابتسامتها إلى نفور واشمئزاز منه، ثم جلست بارتياح وقد تذكرت العرض البارع والناجح الذي ادته ليلة البارحة.

بدأت كلامها: «ألم تكن رحلة رائعة؟»

رشفت إلف قليلاً من فنجان القهوة، بينما أخذت ابتسامة ميراندا الرائعة تتسع أكثر فأكثر ثم قالت: «ان هذه السفينة لا تحمل تعويضاً ما، وانني متأكدة بانك ستجدين يا إلف في أحد الأيام، رجلاً يناسبك تماماً ويملك محلاً صغيراً.»

ركزت إلف اهتمامها في تناول الخبز المحمص ورفضت ان ترفع رأسها إلى السيدة التي تحاول استفزازها. هل هناك من وراء كلام ميراندا نجاحاً حققته مع ريتشارد؟ وهو الرجل غير العادي بوسامته وجماله، وفوق كل ذلك يملك محلاً واسع الشهرة لبيع الحجارة الكريمة في لندن.

لكن إلف رفضت ان تصدق ما جاء في كلام ميراندا متمنية ان لا يحضر ريتشارد لمشاركتهم فطور الصباح. ولما انتهت إلف من تناول طعامها قالت بصوت مسموع انها ستصعد إلى سطح السفينة لتلقي لمحة اولية على أرض بريطانيا.

هزت اليزابيت برأسها موافقة وقالت: «من الجميل ان نرى اليابسة مرة أخرى، أليس كذلك؟»

قالت إلف: «نعم، انه فعلاً كذلك.» ثم وقفت ومشت بخطوات واسعة إلى خارج الغرفة وكأنها لا يهمها شيء في هذه الدنيا... كانت تشعر برغبة شديدة في ان تفرك انف ذات الشعر الأحمر لو تيسر لها ذلك.

عندما وصلت إلى سطح السفينة، اخذت تبحث عن ريتشارد لكنها لم تجد له أي أثر، فاعتقدت انه في حجرته يحزم امتعته ووجدت ان الركاب قد بدأوا يضعون حقائبهم عند مدخل المجاز الذي يؤدي من وإلى السفينة.

قررت بعد ما بحثت عن ريتشارد ولم تجده لا في القاعة الكبيرة ولا في قاعة الرياضة ولا عند حوض السباحة، ان تتصل بحجرته الخاصة، ووجدت ان خطه كان مشغولاً.

شعرت ببعض الارتياح، وعادت إلى سطح السفينة. إذاً، فقد كان ريتشارد يقوم باتصال هاتفي، هذا كل ما في الأمر. ومن المؤكد، انه سيراها ليودعها، وأخذت تفكر بما سيحمل لها المستقبل معه من امور جيدة أو غير جيدة. لا يمكن ان يكون قد غادر السفينة الآن، لانها تحتاج إلى بضع ساعات قبل ان ترسو وتتصل بالمرفأ، الا اذا كان لريتشارد جناحين.

ابتسمت من افكارها الغبية والتي لا تدل على المنطق، ثم مالت فوق درابزين السفينة وقد وقفت بين فتاة صغيرة

اخذت تقفز بحماس شديد وبين رجل عجوز صامت كان يدخن سيجاراً رخيصاً.

شاهدت من البعيد سهول بريطانيا الساحلية، منسقة وموزعة بجمال وروعة إلى عدة حقول تزهر بألوان الطبيعة الخلابة، وهذا ذكرها بغطاء سرير والدتها المفضل لديها. اخذت الفتاة الصغيرة تصرخ بمرح، فابتسمت إلف بكآبة وتمنت لو انها تعود مثلها فتاة صغيرة لا ترغب في شيء من هذه الدنيا، وتمنت لو انها تصرخ مثلها عالياً كي تفرج عن الكآبة والألم اللذين يخيمان على قلبها.

ها هي الآن تنظر إلى أرض والدتها الأم، وكل ما كان يتمحور في مخيلتها، تقوس حاجبي ريتشارد الدائم. اين هو الآن؟ هل يحاول ان يتجنبها ام ماذا؟ هل أراد عندما اقترح عليها ان يتجاهلا امر صراخ ميراندا ليلة البارحة، أن يمنحها فرصة اخيرة؟ هل غير رأيه في الزواج منها ليستبدله بأمور دنيئة. اغمضت إلف عينيها وفكرت ان هذا السبب، هو السبب الوحيد لابتعاده عنها. لكنها تعتقد وتؤمن انها قامت بالقرار الصحيح.

لكن، لماذا هي على هذه الحال من القلق والاضطراب ما دامت تعتقد بأنها قامت بالقرار الصحيح؟ لماذا تشعر بأنها قد اقترفت خطأ فادحاً؟ وقررت ان تهبط السلالم وتعود إلى الاتصال بريتشارد في حجرته الخاصة، لكنها وبعد ان طلبت الأرقام، لم تحصل على اي جواب هذه المرة.

كانت السفينة قد رست في الميناء عندما عادت إلى سطح السفينة، ووجدت جيري واليزابيت يقفان مع تشارلز الذي كان يمضغ قطع البرتقال بتأمل وكآبة.

www.elromancia.com

أعلن للجميع بكآبة ونكد: «انهم يريدوننا أن نغادر السفينة قبل موعد طعام الغداء.»

قالت إلف موافقة: «نعم، وفي خلال ساعة من الوقت، على ما اعتقد؟»

أخذ تشارلز يتأوه مهمهماً، فابتسم جيري ابتسامة واسعة لذلك، ولم تستطع إلف ان تبتسم لشدة كآبتها وحيرتها.

سألتها اليزابيت وقد شعرت بما كانت تعاني منه إلف: «ما بالك يا عزيزتي؟»

كادت إلف ان تقول انها بخير، ولكن اليزابيت اضافت بسرعة قاطعة عنها الكلام: «هل الأمر يخص ريتشارد؟»

«ريتشارد؟» ابتسمت إلف وقد فاجأتها اليزابيت بسؤالها هذا، ثم تابعت تقول: «وماذا عنه؟»

تنحنح جيري ونظر إلى اليزابيت ثم قال أخيراً: «الا تعرفين بأنه قد غادر السفينة؟»

الفصل الثامن

أخذ قلب إلف يخفق بشدة ثم كررت قول جيري بغباء: «غادر السفينة؟»

هز جيري برأسه وبدت على وجهه امارات الأسف والاعتذار منها لأنه شعر بأنه قد سبب لها ألماً وحزناً، ثم قال: «نعم، وحالما رست السفينة، استطاع ان يجري ترخيصاً سريعاً له بالمغادرة.»

همست إلف قائلة: «لم أكن أعرف ذلك، انه لم يتكلم...»

أكد لها جيري بسرعة: «ربما لم يكن لديه الوقت الكافي لذلك. وقد عرفنا ذلك عندما تقابلنا معه صدفة وهو في طريقه إلى المجاز الذي يؤدي من وإلى السفينة، يبدو انه قد تم سرقة محله في لندن والبضاعة التي سرقت لا تقدر بثمن. لقد اتصلوا به من مكتبه ليلة البارحة وفي وقت ما من بعد الحريق. هذا ما كان قد قاله لنا بإيجاز ولم نعرف تفاصيل أكثر من هذه حول حادثة السرقة.» ثم ابتسم ابتسامة واسعة، وفهمت إلف بأنه كان يحاول ان يبهجها ويبعد الكآبة عن نفسها. ثم تابع يقول بمرح: «ومما قرأته في ملامح وجه ريتشارد الساخط والناقم، لا يجعلني اتمنى ان أكون أحد اللصوص الذين استولوا على غنيمة لا تقدر بأي ثمن، والويل لهم ان وقعت يدا ريتشارد عليهم.»

وافقت إلف بصوت ضعيف: «معك حق. كما انني أيضاً لا اتمنى ذلك.»

www.elromancia.com

تابعت إلف مندهشة من نفسها لاهتمامها الكبير في الموضوع: «ألم... ألم يترك رسالة أو أي شيء آخر؟»

قالت اليزابيت بلطف: «انني واثقة بأنه كان يرغب في ذلك. لكنني اعتقد ان ذلك قد غاب عن ذهنه من مدى ارتباكه وحيرته من امر هذا السرقة، وكان قد ذكر لنا بأنه كان يجري اتصالات هاتفية عديدة طوال الليل.»

قالت إلف وفي قلبها غصة: «نعم. طبعاً، وذلك لا يهم.»

لكن الجميع كان يعلم أن الأمر يهمها وليس كما ادعت، حتى ان تشارلز أخذ يفتش في جيبي سرواله لعله يجد شيئاً يقدمه لإلف كي يخفف عنها، ثم عثر على حبة من الفستق وعلى قطعتين من السكاكر بطعم النعناع، فقدم إلى إلف عندئذ احداهما.

كادت إلف تنفجر بالبكاء لما شعرت من عاطفة كبيرة من الجميع تجاهها، ثم وقف الأربعة بعد ذلك يتحدثون احاديث عابرة، وودعوا بعضهم بسرعة وهم يشعرون بشيء من الحزن ثم تفرقوا ليتجنبوا وداعاً اطول من ذلك.

وقفت إلف قرب الدرابزين واخذت تنشم انفها والدموع تموج في عينيها من نهاية لم تستطع فيها ان تقول له على الأقل وداعاً يا ريتشارد، ومسحت عينيها بيدها ثم اخذت تحدق بعاشقين امامها والألم يعصر قلبها عصراً.

كانت تقف بعد مضي ساعتين من الوقت وحيدة بائسة في مرفأ ساوث امبتون والضباب الكثيف يلف المنطقة بأكملها ويبشر بسقوط المطر.

غمغمت إلف للموظف في الجمارك قائلة: «كنت احلم طوال حياتي باللحظة التي تطأ قدماي ارض بريطانيا،

وعندما تحقق الحلم ووصلت إليها، استقبلتني امطار غزيرة.» لكنها كانت تعلم جيداً ان المطر لم يكن مشكلة بالنسبة إليها، وان الحلم الذي تحدثت عنه لموظف الجمارك، تكسر وتحطم منذ عدة ساعات مضت. مشت مثقلة بالتعب وتجاوزت ميراندا التي علا صوتها حاداً بجدال مع سيدة ضخمة الجثة حول ضياع احدى حقائبها، ثم تابعت إلف طريقها نحو محطة القطار.

لقد تخلى عنها ريتشارد لأنها كانت قد رفضته ليلة البارحة، ووقفت في وجه مقاصده ومطامعه فيها، ولانها كانت تعلم بأن الذي كان يريده لم يكن بالأمر الذي تحتاجه وترنو إليه. كان قد تقبل رفضها له دون ان يعاود المحاولة معها مرة اخرى، وها هي قد خسرته الآن، وان صح التعبير، خسرت شيئاً لم يكن في الحقيقة موجوداً. واحست ان حياتها لن يكون لها طعم ولذة دون ريتشارد إلى جانبها، وانها ستكون وحيدة في معترك هذه الحياة تكافح وتجاهد لتكسب قوتها اليومي، بينما ريتشارد بعيد عنها لا يغضبها ولا يحزنها ولا يضحكها، ولا يحبها.

حركت إلف كتفيها بتعب وملل وهي تجلس على المقعد القاسي في القطار، واخذت تفكر بالوحدة التي تنتظرها في السنوات المقبلة، وهذا ما كانت تشكو منه دائماً ولن يتغير.

استطاعت رغم ذلك ان تحيا وتعيش وهذا ما يجب ان تفعله الآن، وهل هناك خيار آخر غير هذا؟

تهيأ لإلف رجل بشاربين كثيفين ينظر إليها بعمق، ثم سعل الرجل بقوة واخذ ينظر في الأوراق التي بين يديه.

أمرها صوت خشن أجفل إلف وتثاءبت وهي تحاول

الجلوس في سريرها: «اصحي، اصحي من نومك.»

كرر صاحب الصوت: «اصحي.»

غمغمت إلف: «لقد صحوت، ماذا تريد..؟ آه، طبعاً طبعاً.»

لقد وجد لها مكتب السياح ليلة البارحة شقة صغيرة في بيت كبير يقدم الطعام والمنامة قرب سلون سكوار ويدعى بونافيستا. ويحيط بالمكان اشجار صغيرة وصف طويل من منازل ذات أسطح من قرميد. وقد اثثت البونافيستا بأثاث قديم وقسمت إلى عدة شقق صغيرة تؤجر إلى السياح، وفي الطابق الأعلى طائر يدعى سبيناش وضع في قفص مذهب.

صرخ الرجل مرة اخرى: «اصحي.»

يا لها من دعوة لبقة لتناول إفطار الصباح، فكرت إلف بسخرية ومرارة، وقد تأكد لها بأن ولا نزيل واحد في استطاعته ان يتأخر عن وجبة الصباح بعد دعوة مثل هذه الدعوة التي سمعتها الآن من ذاك الرجل. على أية حال، فذلك افضل لها بكثير، فلا معنى من بقائها في السرير نائمة في اليوم الأول لوجودها في لندن. وبعد ساعة ونصف خرجت من البونافيستا لتستقل قطاراً ينقل الركاب تحت سطح الأرض ثم مشت على الرصيف قريباً من برج لندن.

شقت طريقها إلى الشارع الذي يؤدي إلى حصن لندن الكبير بغية الدخول واستكشاف معالمه الداخلية، وعندما خرجت منه كانت مأخوذة بما شاهدته ورأته من روعة وعظمة التاريخ البريطاني. كانت الشمس تشرق بضعف من وراء الغيوم عندما خرجت من الحصن وتمنت ألا تمطر السماء من جديد، فهي لا ترغب بطقس يتلاءم ونفسيتها الكئيبة. فكرت عند ذلك بصديقتها ساندرا وبشيء تشتريه لها.

وكانت ساندرا تهوى جمع التذكارات التي لا قيمة لها، فقطعت إلف الشارع وقد رأت محلاً قريباً لبيع مثل هذه التذكارات.

دخلت إلف المحل، وتنقلت بين مجموعة من الأبراج البريطانية المصغرة، والأشياء الصينية الباهظة الثمن، ومنافض السجائر العادية. لكن لم يلفت نظرها شيء واحد من تلك الأشياء. مقابل ذلك، لفت نظرها ملابس قطنية عرضت في الطرف الآخر من المكان، لم تكن هذه الملابس تناسب ساندرا لكن إلف قررت ان تشتري لنفسها شيئاً منها.

تمتم صوت بارد في أذنها: «لقد احسنت الاختيار. انها تليق بك، ايتها النرجسة الصفراء.»

استدارت إلف بسرعة ووقعت من يدها الملابس القطنية فوق تمثال صغير للملكة فيكتوريا.

همست إلف لاهثة: «ريتشارد! لماذا...؟» وتكسرت الكلمات فوق شفتيها، واحست بالدموع تموج في عينيها كمن سيتحرر من سجنه، فأسرعت تغطيها بيدها فهي لا تريده ان يرى دموعها تلك. بلعت بريقها وحاولت جاهدة منع دموعها من التساقط، نجحت في ذلك، ثم نظرت إليه والفرحة تعمر قلبها المكتئب وكأنما اعادت الحياة إليه.

«تعلمين يا إلف ماكبيس، بأنك اظهرت سعادة لرؤيتي، لذا اعتقد بأنني سألغي مواعيدي من أجل تناول طعام الغداء معاً. هل قررت ان تشتري تلك الملابس التي اصر بأنها تناسبك تماماً؟»

أسرعت إلف تقول له: «انها ليست لي، بل لصديقتي ساندرا.»

هز ريتشارد كتفيه قائلاً: «لقد خيبت آمالي.» وعندما تحركت نحو الة تسجيل النقد، اضاف بخبث: «متى تظنين

أنني سأتمكن من مقابلة ساندرا؟» ثم خرج من المكان وترك إلف تدفع ثمن مشترياتها.

وقف ريتشارد خارج المحل ينتظر خروجها ويديه في جيبي سرواله، مرت إلف من جانبه مفكرة بسحره وقوامه الممشوق، فابتسم ريتشارد لها وعيناه الخضراوان تشعان باشراق، وقال لها: «انك مدعوة لتناول طعام الغداء معي.» وامسكها من ذراعها متابعاً قوله: «كما ان تناولك للطعام، سوف يحسن من مزاجك العكر.»

قالت إلف بينما كانت تشعر بجوع كبير: «لا اريد ان اتناول طعام الغداء.»

«لكنني جائع واريد ان اتناول الطعام، كما انه لا نية لي في ان اتناوله بمفردي.» ثم اخذ يشدها من ذراعها.

تخلصت إلف منه وتراجعت إلى الوراء، فأسرع يمسك برسغها قائلاً بفظاظة: «لا تحاولي الافلات مني.»

فكرت إلف بأن ما من سبب يدعوها إلى تضليل نفسها، انه الآن إلى جانبها وهذا ما كانت تريده دائماً وتتمناه أكثر من أي شيء آخر في هذه الدنيا. فنظرت إليه وقلبها يطفح هياماً به مقررة ان تجاريه في كل ما يطلبه منها، وعادت تتذكر رأيه في الحب وبأنه لا وجود للحب الا في الروايات العاطفية.

داست إلف على قدم ريتشارد بينما كانت مسترسلة بأفكارها تلك فسألها: «هل هناك شيء ما يزعجك؟»

اجابت إلف بهدوء: «لا، ابداً.»

قال وهو يرشدها إلى ساحة واسعة وقفت في داخلها سيارة بيضاء كبيرة: «عظيم. لأنني لا أريد ان تتهشم قدمي من أجل سبب معين.»

قالت إلف: «انني آسفة. هل أذيتك؟»

«لا، هل يزعجك ذلك؟»

«لا، طبعاً، لماذا تعتقد أنه سيزعجني ان لم تتأذ؟»

«لا ادري، لكنه يخامرني شعور ما، بأنني قد اتلقى عدة ضربات منك هذا اليوم.»

«ما الذي يجعلك تعتقد ذلك.»

«لا ادري.»

نظرت إليه مطولاً وكأن شيئاً ما في داخلها انبأها بأنه يحاول انه يدفعها لتقر بشيء ما قد يجعلها تندم لاقراره.

فتح ريتشارد لها باب السيارة وساعدها لتجلس على المقعد الجلدي الفاخر والمريح فقالت له: «ريتشارد، أهذه لك؟»

«عن ماذا تتكلمين؟»

«عن هذه السيارة، انها من نوع الرولز.»

«نعم، انها لي.»

تأوهت وهي تستقر بارتياح على المقعد الفاخر متحسسة طراوته بيديها.

انطلق ريتشارد بسيارته الرائعة وهو يقودها ببراعة واتقان في الازدحام الشديد. وصلا بعد وقت قليل إلى منطقة ماي غير، فأوقف ريتشارد سيارته امام اهم واعظم فنادق العالم والذي لم تتصور يوماً انها ستقف امامه.

تلعثمت إلف قائلة: «لكن، لا يمكنني دخول مثل هذا الفندق الفخم - فأنا لست متأنقة و...» لم يرد ريتشارد عليها، بل سحبها من يدها وارشدها إلى مدخل الفندق حيث استقبلهما البواب ببذلته الرسمية، الذي بان على ملامح وجهه الازدراء والاشمئزاز، فتأكد لإلف ان ما قرأته على وجهه كان موجهاً إليها.

www.elromancia.com

قال لها ريتشارد مطمئناً: «انك وكما أنت جيدة فلا يهمك ما ترتدينه.»

نظرت إلف إليه مندهشة، واعتقدت ان الذي سمعته منه كان على سبيل المجاملة وليس ليشعرها بالراحة والاطمئنان.

«نعم، ولكن...» حاولت ان تبتعد عنه وعن هذا المكان الذي احست انه لا يليق بها ابداً.

تنهد ريتشارد وقد نفد صبره، ثم قال: «إلف، إخرسي فأنت برفقتي.»

حسم تلك المسألة بقوله. نظرت إلف إلى البواب لتراه يحني رأسه احتراماً وهما يجتازان عتبة المدخل، ادركت ان ريتشارد لم يعد ذلك الفتى الذي عرفته في طفولتها، بل لقد اصبح رجلاً ذو سلطة وثراء وغدا اسمه مشهوراً ولامعاً في العالم، فلو احب ان يرافق فتاة مثلها ترتدي سروالاً اصفر وقميصاً قطنياً، فلن يجد شخصاً واحداً يرفع حاجبيه تعجباً.

لحقت إلف بريتشارد وهي تشعر بالدوران في رأسها، دهشت للسقف العالي في القاعة الكبيرة التي تؤدي إلى قاعة الطعام والتي كانت قد قرأت عنها في الروايات والقصص، غير مصدقة انه فعلاً يتواجد مثلها في العالم، وكان اول انطباع سجلته في ذهنها، الهدوء والترتيب ثم الفخامة الصارخة.

سأل باحترام بالغ رئيس النُدل اليقظ الذي كان قد لاحظ دخولهما منذ بداية الأمر: «اترغب بطاولتك المعتادة، يا سيدي؟»

أومأ ريتشارد برأسه، ارشدهما رئيس النُدل إلى طاولة منزوية بعيدة عن الطاولات الأخرى. جلست إلف إلى الطاولة وبها خشية من روعة وفخامة المكان، بالاضافة إلى انها كانت تشعر بالجوع الشديد.

سألته: «ريتشارد، لماذا... اعني كيف صادف وعثرت عليّ؟ من غير الممكن ان تكون قد لحقت بي.»

«لِمَ لا؟»

«حسناً، لأنك... لأنك لم تكلف نفسك وتقول لي وداعاً، فما الذي يدعوك لأن تلحق بي، إذاً؟»

كان ريتشارد في تلك الاثناء يدقق النظر في لائحة المشروبات، ثم اشار إلى النادل الذي أومأ برأسه وبدا وكأنه فهم ما الذي يرغبه ريتشارد، ثم ابتعد عنهما مختفياً داخل ممر خشبي.

قال لها ريتشارد عندما اصبحا منفردين: «في الحقيقة، لم اكن اريد اللحاق بك، آه، ربما عليّ ان اقر انني اعتقدت سابقاً في اننا نتلاءم وبعضنا الآخر. لكن وعندما لمست نفوراً منك، غيرت رأيي واعتقدت ان انفصالاً نظيفاً قد يكون هو الأنسب لنا.»

«بالنسبة إليك ام بالنسبة إليّ؟»

بدا غير مبالٍ وهو يقول: «بالنسبة لكلينا. لقد رأيت ان لا فائدة من الاستمرار في الضغط على امرأة، وهي من نواح عديدة، ما زالت عنيدة ومتحدية كما عرفتها في الماضي، وعلاوة عن ذلك، تخشاني ولا تأمن قربي منها.»

عاد النادل ليسجل طلباتهما من اصناف الطعام التي يرغبان تناولها. كانت إلف خلال ذلك تشعر بالأذى والجرح العميقين من كلماته اللامبالية، لكنها كانت ايضاً تشعر بالسعادة لرؤيته ثانية، وادركت ان ظهوره من جديد في حياتها لم يشعرها انه بحاجة إليها مثل حاجتها إليه.

قالت وهي لا تنظر إليه وذلك كي تحافظ على هدوء

وبرودة نبرة صوتها: «انني لا اخشاك. لكنني اشعر بالحيرة والارتباك.»

«هذا ما توضح لي مؤخراً، وقد تمكن جيري بريدجر ان يتصل بي ويقول اني كنت قاسي القلب معك عندما تخليت عنك بهذا الشكل، لذا قررت ان امنحك فرصة أخرى.»

بدت إلف غاضبة وهي تقول: «تمنحني فرصة... بين كل المتغطرسين في العالم...»

ابتسم ريتشارد قائلاً: «نعم، يا عزيزتي. لقد سبق وسمعت منك ذلك من قبل.»

تناولت السكين وبدأت تضع كثيراً من الزبدة على قطعة من الخبز وقالت بحنق: «انني لست عزيزتك.»

قال بجفاف: «انني اوافقك الرأي.»

وصلت في تلك اللحظة الشورباء الغنية، أخذت إلف تتناولها بشهية وسرعة لكن بصمت، فهي تعلم انها لو تفوهت بكلمة واحدة فسوف يفسرها بعدة معان. لذا قررت ان تتجاهل تلميحاته وتركز اهتمامها في تناول طعامها.

قال وقد لاحظ التهامها السريع لطبق الشورباء الغني: «تعجبني السيدة التي تتمتع بشهية قوية على الطعام مثلك.»

قالت دون ان تنظر إليه وهي تتابع تناول الشورباء: «صحيح؟ ظننت انك قلت مرة انني لست سيدة بالمعنى المفهوم.»

«اعتقد بأنني كنت اتمنى عليك ان تكوني كذلك.»

تنهدت إلف، فهو لا يريد ان يسهل الأمور عليها، وتمنت لو انها رفضت المجيء إلى مثل هذا المكان الفخم والارستقراطي، فلو كانا في مكان متواضع، لكانت قد صبت الحساء على رأسه.

عندما وصلت بأفكارها إلى هذا الحد، تذكرت انه لم يشرح لها بعد كيف عثر عليها، فقالت له: «اريد ان اعرف كيف عثرت عليّ، ولماذا اردت ذلك؟ انك لم تكلف نفسك بعد في ان تشرح لي ذلك.»

اسند ريتشارد ظهره على الكرسي، وبدا كأنه كان ينظر إلى شيء ما وراءها، ثم قال: «هل كنت تودين ان لا اعثر عليك؟»

«لا، بل على العكس، اعتبر نفسي محظوظة من ظهورك المفاجيء.»

قال وقد نظر إليها مستفسراً: «لماذا؟»

«لقد حصلت على غداء مجاني، الست معي في ذلك؟»

انتظر ريتشارد من النادل ان يأخذ طبقي الحساء الفارغين ليستبدلهما بطبقين من السمك، ثم قال لها بنبرة حازمة: «انت، يا الفرايد ماكبيس، سيدة مجردة من المبادىء الخلقية والذوق. هل تحاولين القول انه قد حصل لي الشرف في مرافقتك ولست انت التي كان لك الشرف برفقة شاب ساحر مثلي يقدم لك افخر انواع الشراب واغلى انواع ثمار البحر؟»

أجابت بمكر: «تقريباً، لكن ارجو ان لا يقلقك ذلك، واعتقد انه ينبغي منك ان تخفف بعضاً من شموخك وكبريائك.»

«من دون شك.»

انتهت إلف من تناول شرحات السمك. وقالت بخشونة قبل ان يتمكن من مفاجأتها بشيء آخر مرة أخرى: «ريتشارد؟»

«نعم؟»

«لماذا بحثت عني؟ ان كنت قد فعلت ذلك بالفعل.»

«لم ابحث عنك، ذلك لأنني كنت واقعاً تحت ضغط شديد في العمل، لذا طلبت من رجالي ان يتفقدوا اثرك.»

www.elromancia.com

«آه، ولِمَ طلبت منهم ذلك؟»

«كما ذكرت وقلت لك، لقد اتصل بي جيري بريدجر معتقداً ان انهماكي بعملي والظروف الأخيرة التي عانيت منها قد تؤدي بك إلى الذبول.»

قالت إلف محدقة بالطاولة: «آه، لا تحاول ان تمدح نفسك. اعتقد ان جيري كان محقاً بقوله، هل فعلاً وصفك بأنك قاسي القلب؟»

«نعم.»

سألته بكل ثقة: «هل ازعجك قوله؟»

«لا، لكن ذلك جعلني افكر انني سأتمتع برؤية معاناتك بنفسي في ما لو كان محقاً بأنك ستضعفين وستهزلين بسبب ابتعادي عنك.»

شعرت إلف بالبؤس والتعاسة، ثم تأكد لها ان ريتشارد لا يهمه أمرها أو يكترث لها بل كان يريد منها ان تندم على رفضها له.

سألته بانفعال شديد: «لماذا تضيع وقتك إذاً؟ فعندما اقنعتك ان لا رغبة لي بالزواج، لم تعد تهمك رؤيتي على السفينة. إلى ان كان ذلك الحريق في تلك الليلة وما كان لنا فيه قبل ان يندلع، وبعد ذلك لم أر لك صورة وجه ثم غادرت السفينة قبل الجميع وكأن شيئاً لم يكن.»

ابتسم ريتشارد ابتسامة باردة وقال: «هل تحاولين القول ان ذلك جلب الحزن والألم إلى قلبك؟ فلكم يرضي هذا غروري. على أية حال، اعتقدت ان بعض التجاهل مني قد ينفعك إلى حد ما. لكن، هل تاه عن ذهنك انه كان ينبغي مني ان الاحق السرقة التي تعرضت لها شركتي بعد الحريق مباشرة؟»

«الذي جاء عليك بمنفعة ما.»

نظر إليها نظرة لم تدرك معنى لها. ثم قال: «ربما كذلك.»

تساءلت إلف في نفسها ما الذي كان يعنيه بقوله هذا. هل كان سعيداً من السبب الطارىء الذي جعله يخرج بسرعة من السفينة؟ فسألته: «هل استعدت جواهرك المسروقة؟»

«نعم، اكثرها. فاللصوص عادة، لا يتمتعون بدرجة كبيرة من الذكاء، فقد تركوا اثراً سهلاً استطاع بواسطته المسؤولون من معرفة هويتهم. والآن، هل تخبريني عن الذي يجول في رأسك؟»

وتلعثمت إلف بكلامها وقد بدا عليها الارتباك: «آه، أنت...»

«نعم؟»

أخذت نفساً عميقاً، فريتشارد يظهر كعادته بارداً وهادئاً ورصيناً ولكنه أيضاً مستهزئاً.

قالت اخيراً وقد أجبرت نفسها على ان تبدو مختلفة عما كان يجيش في صدرها: «بعد ذلك الحريق، كنت قد ذهبت مع ميراندا.»

قاطعها ريتشارد قائلاً: «انني لم اذهب مع ميراندا، ان الذي يسمع قولك يعتقد اننا عاشقان متيمان. صحيح انني رافقت ميراندا إلى حجرتها الخاصة، ولولا ذلك لما تمكن تشارلز. ب. ووتربوش من ان يبقى حياً.»

«عن ماذا تتكلم؟»

«عن تشارلز بالذات، فقد جعلته ميراندا يعتقد ويصدق انه سبب لها جرحاً عميقاً ولن تشفى منه بسهولة، كان علي عندئذ ان ابرهن لذلك المسكين أنها في حالة جيدة ولا تشكو من أي شيء وتستطيع السير على قدميها، وأهم من ذلك كله، انها تستطيع تناول الطعام وهذا على الأرجح ما كان يشغل

باله. لذلك كانت الطريقة الوحيدة لاقناعه بذلك، ان امسك بيد ميراندا وأرافقها إلى حجرتها الخاصة.»

«لتنام.»

«طبعاً، تركتها عند الباب واقترحت عليها ان النوم سيفيدها كثيراً.»

قالت إلف بجفاف: «ان هذا نبل وشهامة منك بالفعل، ولم يكن ذلك ما كانت تأمل وتطمح إليه.»

«من المحتمل انه لم يكن كذلك. عدت بعد ذلك إلى حجرتي الخاصة، وتلقيت حينها تلك الأخبار حول السرقة ثم ادركت انه لن يكون لي متسع من الوقت لاودعك في الصباح، فقررت ان اودعك في حينها.»

«تودعني؟»

«نعم، وما تعتقدينه غير ذلك؟»

هزت إلف رأسها قائلة: «لا شيء ابداً.»

«طرقت باب حجرتك، لكنك لم تردي، اعتقدت ان تمنعك عن الرد يعود لما كان لنا من امور قبل ان يندلع الحريق.»

اذاً، لقد عاد إليها في تلك الليلة وكانت قد اعتقدت انه ابتعد عنها ومل تصرفاتها معه، فأسرعت تقول: «آسفة، لقد سمعت صوتاً شبيهاً بالطرق على الباب، لكنني اعتقدت أن هناك جرذاً في غرفتي.» ثم مدت يدها لتتناول كوبها لكنها اخطأت في المسافة واسقطت يدها بعنف فوق الطاولة.

نظر ريتشارد إلى اصابع يدها وقد تركت الضربة العنيفة اثراً عليها ثم قال: «اذا كانت هذه الضربة لم تعطك درساً على ملاحظتك، فأنا اميل إلى ان اضيف عدة ضربات أخرى.»

قالت إلف بدهشة: «لا، لا يمكن ان تفعل ذلك. لأنك لست على هذا النحو من القساوة.»

«لا تكوني واثقة مني لهذه الدرجة، وقد خبرت قساوتي في كثير من الأمور في السابق.»

ورفعت يدها لتضغط بها على صدغها الذي كان ينبض بشدة، فتوجه تفكيرها إلى اتجاه آخر وتذكرت شكواها الأساسية منه.

قالت متذمرة: «انك لم تودعني.»

وضع ريتشارد يديه على الطاولة ومال قليلاً نحوها ثم ابتسم ابتسامة لم تبعث الاطمئنان إلى نفسها، ثم قال: «انني لم استطع توديعك، لكن ان استمريت في تقطيب حاجبيك في وجهي على هذا النحو، فسوف اودعك إلى الأبد يا الفرايد، فهل هذا ما ترغبينه؟»

قالت إلف وهي ما زالت تقطب حاجبيها: «هذا في الحقيقة ما ترغبه انت، اليس كذلك؟»

زم شفتيه قائلاً: «هذا ما كنت اعتقده، كما بدأت اعتقده الآن من جديد.»

حدقت إلف به قائلة: «لا ادري لماذا...»

أكمل كلامها: «لماذا لا أتصرف معك كما يجب. الحقيقة، يا عزيزتي، لأنني لم انجح بعد في تهذيب طبعك وان اجعلك تعاملين من هم أكبر سناً منك باحترام اكبر.»

أجابت ساخرة: «احترام؟ أو بمعنى آخر ان احني رأسي لك من اجل الفروقات التي بيننا، اليس كذلك؟ على أية حال، لماذا عليّ ان اقدم لك احترامي وأنت لا تريد الزواج مني؟» ووثبت من مكانها دون ان تفكر ثم تابعت قائلة: «اعني لا تريد الزواج مني على وجه الخصوص، لأنك تبحث عن امرأة لتشاركك لياليك...» توقفت عن كلامها ورأسها يهز بانفعال شديد ثم مال جسدها بثقل إلى الطاولة.

جاء صوت ريتشارد عند ذلك بارداً وهادئاً ليقول لها: «انك لن تكوني معي ابداً المرأة المناسبة لعلاقة حميمة أو لغيرها، يا الفرايد. كما انه لا بأس عليك لو انك تحنين رأسك من أجل الفروقات التي بيننا.»

رفعت إلف رأسها لتنظر إليه ووجدت انه بالرغم من انه كان يتكلم بلطف، لكن ملامح وجهه كانت قاسية وصلبة مثل الفولاذ.

أمسك بمعصمها قائلاً: «استمعي إليّ يا إلف، أنت بحاجة إلى نزهة على الاقدام.» حاولت إلف ان تحرر معصمها من قبضته لكنها لم تستطع، وبدت غاضبة وحانقة، لكنها قررت اخيراً بينها وبين نفسها، بأنها مرتاحة من ملامسة يده ليدها.

جرها فوق السجاد السميك مروراً بالنُدل الذين اختلسوا النظر إليهما، كذلك بعض الزبائن الآخرين. تعثرت بخطواتها فرمقها قائلاً لها بحدة: «هل انت بخير؟»

«لا ادري، فأنا اشعر بنوع من الغربة منذ وطأت قدماي هذه البلاد.»

همهم ريتشارد بشيء ساخر ودفعها بخفة إلى الخارج، حاولت التراجع عندما لفح الهواء الرطب وجهها، لكنه لم يسمح لها بذلك، بل اخذ يدفع بها بسرعة في الشارع لدرجة انها لم تشعر بقدميها تطآن الأرض، فنظر إليهما بعض السائحات بمرح بينما كن يحاولن الدخول إلى الفندق، وتعثرت إلف بخطواتها عند حافة الطريق.

قال لها ريتشارد: «ستذهبين إلى غرفتك حالاً.» وسحبها في اللحظة التي كادت تهوي فيها.

«آه، لا، فأنا اشعر بخير.» واحست ببعض الألم في معدتها وزلت قدمها من شق صغير في الرصيف.

«لكن، لا نية لي كي امضي بقية هذا النهار ممسكاً بك، واعتقد ان الفراش هو خيارك الوحيد.»

وافقت إلف: «فكرة لا بأس بها.» ثم شعرت ان الألم في معدتها قد زال عنها.

بدا ريتشارد مشمئزاً من تصرفات إلف، وغمغم بكلمات لم تلتقطها أذناها.

بدأت قوى إلف تتلاشى عندما لفح الهواء البارد وجهها، واحست بشيء في داخلها يفيض على انفاسها. تراءى لها انها سمعت ريتشارد يتنهد وهو يدفعها داخل سيارته الرولز، ثم عادت تشعر بشيء مؤلم في معدتها وكأن شاحنة مرت عليها.

عندما بدأت إلف تشعر بالتعب بعد فترة من الوقت، كان ريتشارد قد وصل إلى البونافيستا واوقف سيارته امامها.

مال ريتشارد نحوها وفتح لها الباب ثم قال: «هيا، اخرجي من السيارة.» ابتسمت إلف واستوت مستريحة على المقعد الجلدي الفاخر.

غمغم ريتشارد ثم ترجل وتوجه إلى الباب الآخر.

اغمضت إلف عينيها وهي تتمتم بكلمات مبهمة، فحملها ريتشارد ومشى بها إلى الباب ثم اوقفها على قدميها، قائلاً لها: «اين المفتاح؟»

اخذت إلف تفتش في جيبي سترتها قائلة: «انه... لا ادري.» وعادت تفتش من جديد ثم قالت: «آه، لقد وجدته، انه في الجيب الخلفي من سروالي.»

تمتم ريتشارد: «عظيم، اعطني اياه.»

نظرت إليه مطولاً بطرف عينها وسمعته يقسم بحنق

www.elromancia.com

وغضب بأشياء فهمت انه كان يعنيها هي بالذات، ولم تشعر بعد ذلك الا وهي بين ذراعيه.

امرها، عندما بدأت تكافح بقوة لتتخلص منه. «اهدأي. صدقيني، لقد دفعت بي إلى مرحلة قد اهرب فيها من وجه العدالة بسبب اقدامي على جريمة قتل، من المؤكد انك ستفقدينني صوابي، وبالتالي ستخسرين انت اشياء لا تخطر على بالك.»

تذمرت إلف: «انك لا تتصرف بنبل ولطف.»

اوقفها ريتشارد بعد ذلك وهو يسند كتفيها بيديه الاثنتين، ثم قال هازئاً بها: «كما انك لست ايضاً بسيدة نبيلة، بل انك امرأة شاذة.»

قالت إلف: «لا، من المؤكد انك لست شهماً ونبيلاً.»

«اذا لم تحسني التصرف، فلن تلومي سوى نفسك.»

تأوهت إلف، وتظاهرت بأنها ترتعد خوفاً من تهديده لها، ثم نظرت إليه بعينين ناعستين وقالت: «هل ستشدني من شعري وتجرني إلى كهفك ايها الانسان الحجري؟»

قال لها ريتشارد وهو ينظر إليها نظرات غير راضية عن تصرفاتها: «لا. بل سأمسكك من كتفيك وأجرّك إلى فراشك لتخلدي إلى النوم.»

تنهدت إلف قائلة: «اعتقدت انك ستقترح عليّ شيئاً افضل من ذلك.»

«نعم، ولكن ليس برفقتك.»

فتح ريتشارد الباب بهدوء ثم دفع إلف إلى الفناء الداخلي للبونافيستا.

مالت برأسها على صدره بينما كانت تدفعه إلى الوراء

كمحاولة لتوقيفه عن تقدمه، لكنه ضغط على كتفيها بقوة وامرها ان تتابع سيرها.

ردد الطائر سبيناش: «سيرك. تابعي سيرك.» تجاهله ريتشارد وثابر على دفع إلف إلى اولى درجات السلم.

سألها: «ما رقم غرفتك؟» بينما صاح سبيناش يأمرهما ان يقفلا الباب وراءهما.

«رقمها تسعة.»

حملها وصعد بها السلالم قبل ان تبدي أي اعتراض. ثم قال: «حسناً، اننا بحاجة الآن إلى مفتاح آخر. أين المفتاح؟»

«لا ادري، حاول ان تجده بنفسك.»

زم ريتشارد بشفتيه، وأخذ يفتش في جيبي سترتها من دون أي اعتراض. وجده ثم فتح به الباب وعاد يحمل إلف ليسقطها فوق السرير الكبير.

مال نحوها لينزع عنها سترتها، فابتسمت له بدلال. لكنه توقف فجأة عن ذلك عندما سمع صوتاً آتياً من مدخل الغرفة.

قال صاحب الصوت بعنف: «ما هذا؟ توقفا عن ذلك، فهذا مكان محترم.»

وقف ريتشارد جانباً، وارخى يديه على جانبيه.

الفصل التاسع

أخذت إلف تراقب ريتشارد ببطء ليلتفت ومن ثم ينظر نظرة قاسية وجافة بوجه الرجل الذي يقف عند باب الغرفة والغضب يهزه هزاً شديداً. كان للرجل السمين عينان سوداوان أخذتا تنظران إليهما شذراً وكأنهما ستقفزان من وجهه في ايه لحظة.

قال له ريتشارد بعد قليل: «لا داعي للقلق، وأؤكد لك ان هذه السيدة ليست في حالة تسمح لها في ان تقوم بالذي يدور في خلدك.»

كان مالك البونافيستا ينظر إليهما بشك، فبذلت إلف جهدها كي يبدو عليها التحفظ والاحترام... وقامت بمجهود كبير ليظهر عليها غير ما يعتقده الرجل فيها من الوضع المخزي الذي هي عليه في السرير، بينما كانت ما تزال تنتعل حذاءها.

أكدت إلف للرجل السمين: «انني بإلف خير، يا سيد بوسبي. ويجب ان تعرف بأنني سيدة محترمة.»

بقي السيد بوسبي على حاله من الانزعاج وكأن ما من شيء قد يعيده إلى حالته الطبيعية، ثم قال: «أنا لا أرغب بمرضى مصابين بالغثيان فوق سجادي.»

بدا الاشمئزاز والقرف على وجه السيد بوسبي واسرع بالخروج من الغرفة وهو يغمغم بكلمات، ثم اقفل الباب بعنف لدرجة ان نوافذ الغرفة احدثت طقطقة من جراء ذلك.

«أعتقد انك جعلت السيد بوسبي يشعر بالقرف والاشمئزاز.»

تمتم ريتشارد وسحب بعض الازهار الاصطناعية من وعاء إلى جانب سريرها وناولها إياه فارغاً لتتمكن من استعماله.

أخذت إلف تقهقه ضاحكة من ذلك، ثم قالت: «آه يا ريتشارد، انني فعلاً آسفة.»

قال موافقاً: «كذلك أنا لكنني لا أعتقد ان اللوم يقع عليك وحدك.»

فكرت إلف متسائلة من التغيير الذي طرأ على نبرة صوته وفي ما لو ان ما سمعته منه كان صحيحاً. وقررت ان تواصل الضغط على الأمور قائلة: «أعتقد أن ما جرى كان بسبب التعب والارهاق الشديدين اللذين اعاني منهما، لكنني أشعر أنني أفضل حالاً الان.»

همهم ريتشادر بشك من أمرها: «ان كنت فعلا على هذه العادة من غثيان ما في معدتك في كل مرة تشعرين فيها بالتعب، يا إلف، ذكريني ان لا أدعك خارج فراشك...»

تمتمت إلف وهي تشعر بالنعاس يتغلب عليها وتثاقل في عينيها: «أنا لست كذلك.»

شعر ريتشارد بالضيق ونظر في ما حوله بتململ، ثم مال لينزع عنها حذاءها.

اعتقدت إلف وقد انجرفت في بحر من السلوان والنوم، انها سمعت صوت رجل يحاول ان يكتم ضحكة تريد الافلات منه.

عندما استيقظت إلف من نومها العميق، كانت العتمة تلف الغرفة بأجنحتها السوداء، ولم يكن هناك اي أثر لريتشارد.

اشعلت إلف الضوء الذي إلى جانب سريرها، وهالها ما

رأته، فهي لم تكن ترتدي ثوب نوم شفاف. حركت رأسها بحركة تجريبية أدركت عندها انها عادت إلى حالتها الطبيعية، فلا دوار، حتى ان الألم الذي كانت تشعر به في معدتها قد زال ولم يعد له اي أثر.

حاولت ان تستعيد بذاكرتها ما كان لها من أحداث، وتذكرت حالة المرض التي كانت تعاني منها وان ريتشارد قد اعادها إلى هذه الغرفة وهي في حالة لا تحسد عليها، وتذكرت السيد بوسبي وثورته الجامحة، لكن وفي خضم كل تلك الأحداث، كان احدهم قد نزع عنها ملابسها ووضعها في السرير.

لا بد وان ريتشارد هو الذي قام بذلك، وشعرت بخديها يتوردان خجلاً. وعندما نظرت إلى وجهها في المرآة، وجدت أنه قد استعاد لونه الطبيعي، وأخذت تفكر بالطريقة التي ساعدها ريتشارد فيها على خلع ملابسها عنها.

كانت تعلم جيداً ما يجول في ذهنها، فنهضت بسرعة من سريرها وسكبت لنفسها كوباً من الماء، كأنها تريد من الماء ان تجرف عنها كل تلك التصورات والأفكار المشينة.

حاولت إلف أن تعود إلى سريرها عندما انتهت من شرب كوب الماء، لكن الباب فتح فجأة، وأجفلت إلف فاغرة فاها بدهشة وخوف.

قال ريتشارد: «شيء مثير فعلاً.» وتقدم نحوها وقد حمل بين يديه صينية وضع عليها ابريقاً من الشاي، ثم تابع يقول: «الاحظ انك قد تعافيت واصبحت احسن حالاً.»

جلست إلف في السرير واسندت ظهرها على الوسادة، فوضع ريتشارد الصينية على الطاولة، ثم سكب فنجاناً من الشاي وقدمه إليها.

قال لها وقد أحاط كتفيها بذراعيه وحمل الفنجان قريباً من شفتيها: «هيا، اشربي هذا.»

همست إلف: «لا أستطيع.»

«لكن يجب عليك ذلك. هيا يا إلف، لقد كنت في حالة مرض شديد وانك بحاجة إلى شراب ساخن يعيد الدفء إلى جسدك.»

لم تستطع إلف ان تقول له ان دنوه الشديد منها كان كافياً لها فقالت عوضاً عن ذلك: «انني بخير الآن، وكنت قد شعرت بأنني سأموت بعد ظهر هذا اليوم لكن...»

قال لها مؤكداً: «ان لم تشربي هذا، فستموتين لا محالة وبأسرع مما تظنينه، ولا أعني انك ستموتين بسلام، بل ستعانين كثيراً قبل ان يكون ذلك. كما انني لا أريد ان يُقال عني بأنني ساعدتك على تنفيذ ذلك... بل ان يقال بأنني كنت أقوم بخدمة انسانية... لذا ارجو منك ان تشربي هذا بهدوء، هل فهمت ما اعنيه.»

نظرت إلف إليه بحذر، ثم رشفت جرعة صغيرة من فنجان الشاي، وشعرت بالدفء والانتعاش، فأخذت عند ذلك تشرب المزيد منه.

قال ريتشارد برضاء تام: «هذا أفضل بكثير.»

تململت إلف من تحت الغطاء وقالت لريتشارد ببطء: «ريتشارد، هل انت الذي نزع عني ملابسي؟»

همهم ريتشارد ووضع يده على فكه وكأنه يستعيد بذاكرته ما كان.

فقالت: «آه، أنا...»

«لا تقلقي، فأنت ما زلت في حالة جيدة.»

«انني لم أكن قلقة على ما كنت تفكر به.»

«صحيح؟ اعتبر هذه الملاحظة من بين أهم الملاحظات التي تفوهت بها هذا اليوم.»

قالت إلف بسرعة: «لكنني قلقة الآن. على الأقل قد أكون كذلك لو ان...»

«لو انك في حالة تسمح لك بذلك.»

وتنهدت إلف: «لا.» انها في حالة لا تسمح لها لأن تقيم مشادة كلامية مع ريتشارد، فالأفضل لها أن تغير دفة الحديث.

«شكراً للمساعدة التي قدمتها لي. أ... ريتشارد.»

أجاب ريتشارد: «حسناً.»

«ما الذي جرى لي، يا ريتشارد؟ وقد كنت أشعر تارة بخير وطوراً لست بخير.»

ربت على يدها قائلاً: «انها الانفلونزا، ويقول الطبيب ان عوارضها تظهر أحياناً على هذا الشكل.»

«الطبيب؟»

«ألا تذكرين ذلك أيضاً؟ لقد أحضرته ليعاينك.»

تأوهت إلف مقطبة الجبين وكأنها تفكر ثم قالت: «نعم، أعتقد بأنني أذكر أشياء كثيرة جرت في هذه الغرفة، لكن بتشويش وغموض وكنت لم أستسلم بعد للنوم العميق.»

«أمضيت معظم الوقت وأنت مستغرقة في نوم عميق، على أية حال، لقد قال من المحتمل انك قد تعيشين.» وتقدم خطوة إلى الأمام.

سألته إلف: «إلى أين أنت ذاهب؟»

«يجب أن أعيد هذه الصينية إلى السيد بوسبي لأنه انزعج كلياً لاعطائي اياها، ومن ثم سأعود إلى شقتي طلباً للنوم، ومن الأفضل لك أيضاً أن ترتاحي وأن تخلدي إلى النوم فقد أصبحنا في منتصف الليل.»

«لكنني... آه.» كادت أن تقول له انها صاحية تماماً الآن ولا تشعر بالنعاس، لكنها لاحظت الشحوب والتعب على ملامح وجه ريتشارد وبأنه لن يستطيع الصمود أكثر من ذلك فوق قدميه، لذا أردفت قائلة: «حسناً، كما تريد.»

اقترب منها بعد ذلك ولمس أنفها بلطف قائلاً: «عمت مساء، ايتها النرجسة الصفراء.» وخرج من الغرفة وقد أقفل الباب بهدوء وراءه.

توقعت إلف لنفسها الأرق، لكنها استغرقت في النوم في اللحظة التي خرج فيها ريتشارد من الغرفة. استيقظت من نومها في صباح اليوم التالي والشمس ترسل خيوطها الذهبية إلى غرفتها.

استلقت في سريرها صاحية لبعض الوقت وهي تراقب السماء عبر النافذة ثم تململت في السرير وأخذت تلتفت حولها، فوقع نظرها على ورقة مطوية كانت قد وضعت تحت الزهرية.

رفعت الزهرية وتناولت الورقة ثم أخذت تقرأ ما جاء فيها.

صباح الخير، أيتها النرجسة الصفراء.

آمل أن تكون الكوابيس التي حلمت بها هانئة ورضية، وان الذي كنت تشعرين به في رأسك من دوران ليس بحالة أسوأ الآن مما تستحقينه بالفعل. كوني جاهزة عند الساعة الحادية عشرة.

ريتشارد.

ملاحظة: بعد ان تناولت بعض الأمور بعين الاعتبار، توصلت إلى نتيجة لا مفر منها، وهي انني قد اكون عديم المسؤولية إن تركتك على ما أنت عليه من الحرية والانفلات

وأنت ابنة بلدي ورفيقتي في الطفولة. يؤسفني ان اقول لك انك تحتاجين إلى رقيب يحصي عليك حركاتك وسكناتك أيضاً. ابلغك يا عزيزتي أن زواجي منك في شهر ايلول - سبتمبر، سيكون مناسباً وظروفي في العمل.

هددت إلف غاضبة ثم قالت: «هذا لا يعني بأنك امتلكتني يا ريتشارد لاسلو، عندما نزعت عني ملابسي.»

لقد قال انها بحاجة إلى رقيب! وقد كتب رسالته هذه وهو يتعمد إثارة غضبها وليس بالتحديد كان يعني ما يقوله. رسمت شبه ابتسامة على ثغرها وقد تأكد لها ان ريتشارد يعرف تماماً كيف يثير حماسها وثورتها، وعادت تنظر إلى الرسالة بشوق، وقد ركزت نظرها على الجملة التي طلب فيها الزواج منها وللمرة الثالثة.

انه وللمرة الثالثة يطلب الزواج منها، لكن هذه المرة جاء طلبه على الورق، لذا قد يكون يعني فعلاً ما قاله. لكن ذلك لا يعني شيئاً بالنسبة إليها، فقد أكد لها سابقاً انه يريد زوجة ناضجة لا ترهق كاهله بالمصاريف التي لا معنى لها، وكان تصرفها معه البارحة لا يدل ابداً على نضجها وسعة اطلاعها.

لكنه ومع ذلك تعامل معها بدقة وتفهم كاملين. شعرت بألم طفيف في رأسها والأفكار تراودها، فتمددت وأغمضت عينيها المثقلتين. طرأت فكرة في بالها، إنها ترغب بالزواج من ريتشارد أكثر من أي شيء آخر ترغبه في هذه الحياة، ولكن لِمَ هي على هذه الحالة من الرفض المتواصل؟ إنها تعرفه حق المعرفة منذ كان فتى يافعاً يعاكسها ويجعل من نفسه حاكماً عليها، لكنه ها قد اصبح الآن رجلاً ناضجاً وما زال يفرض نفسه حاكماً عليها، يثور

لأي شيء، ومشكك ولا يؤمن الا بتلك الأشياء التي يمكنه ان يلمسها بيديه. لكنها لاحظت ان وراء كل ذلك الاستبداد الذي يحيط نفسه به، هناك لمسة عاطفة وحنان في هذا الرجل الذي أحبته حباً كبيراً. فلماذا تواصل كبح مشاعرها؟

قالت تكلم نفسها بصوت مسموع: «هذا سؤال من السهل الرد عليه. فالذي يكبح مشاعرك، كلمة مهمة جداً وتدعى الحب.»

تعني من ذلك، الحب الذي لم يهبه ريتشارد إليها. فزواجه من فيليستي جعله ينظر إلى الحب بمنظار مختلف، وقد آمن أن لا وجود له الا في الروايات العاطفية، والحب الذي تؤمن به إلف كان هو ينظر إليه بعين ساخرة ومستهزئة ولا يعطيه أي اعتبار.

أخذ سؤال يتردد في ذهنها، هل ستتمكن من العيش مع ريتشارد وهو بمثل هذا الانطباع عن الحب؟ انه معجب بها أشدّ الاعجاب، وهذا شيء مؤكد لها، كما انه يريدها بالرغم من أن خبرته السابقة افقدته كل حس وقدرة على ان يحب من جديد، وأن الزواج أمر لا بد منه لاستمرارية الوجود.

قالت بصوت عالٍ: «حسناً. سأقوم بذلك. سأتزوج منك، يا ريتشارد لاسلو.»

أطلق سبيناش في تلك الاثناء صوتاً ساخراً وكأنه سمع وادرك ما قالته إلف.

صرخت إلف موجهة صراخها إلى سبيناش: «لا يهمني ماذا تفكر به أنت. سأتزوج منه في كل الأحوال.»

أخذت تضحك عندما تردّد صدى صوتها في الغرفة، فهي لم تعد تكترث لأي أمر من الأمور حتى لو انها اصيبت بمس في عقلها. وقرّرت أن تقول لريتشارد عند وصوله إليها انها

موافقة على ما طلبه منها، وما قد يكون بعد ذلك ليس من شأنها وستسمح للأقدار ان تتقاذفها على هواها وكما تريد، طالما هي إلى جانب ريتشارد إلى الأبد، فلا يهمها شيء.

ابتسمت وسحبت نفسها من السرير، فريتشارد آتٍ عند الساعة الحادية عشرة ويجب ان تستعد من أجله، وقريباً جداً، ستكون إلف ماكبيس زوجة له.

ارتدت بسرعة سروالها الأبيض وقميصها الأصفر اللون، ووقفت تنتظره عند باب غرفتها وقد شارفت الساعة على الحادية عشرة. ظلت على حالها من الانتظار تلك وقد انتصف النهار، فجلست على حافة سريرها والأفكار السوداء تعصف في رأسها.

قرّرت عند الساعة الثانية عشرة والنصف، ان تمنحه فرصة أخرى لغاية الواحدة من بعد الظهر.

بقيت تنتظره لغاية الواحدة والنصف لكن دون جدوى، فقامت غاضبة عن سريرها، وحملت حقيبة يدها ثم فتحت الباب وأقفلته بعنف وقوة جعلا سبيناش يصرخ عالياً: «استيقظي، استيقظي.»

اجابته إلف وهي تهبط السلالم إلى الطابق الأسفل: «سأسكب زيتاً حاراً عليك.» ثم خرجت لتجد الجو غائماً والسماء تمطر فبدأت إلف تغمغم بغضب وسخط وهي لا تلوي على شيء.

تأكد لإلف انه مع اطلالة الشمس من جديد وفي يوم جديد، أعاد ريتشارد النظر في أمر رسالته وقرر انه يستطيع تدبر أموره من دون زوجة، خاصة والتي اختارها يغيبها المرض، من وقت إلى آخر، وفوق ذلك انها بحاجة إلى رقيب يحصي عليها حركاتها وسكناتها.

قررت أنها يمكنها معالجة امورها من دونه، وشقت طريقها إلى القطار الذي يجري تحت الأرض، وقطبت جبينها في وجه قاطع التذاكر الذي فغر فاهه مندهشاً من تصرفها الشاذ تجاهه.

لازم الغضب إلف وقد شعرت بالأمل يضيع منها في ذلك النهار بينما كانت تستعرض الأماكن الأثرية في لندن، كما أنها حاولت ان تجد المنزل الذي كانت تعيش فيه والدتها في صغرها في فولهام، وفهمت أخيراً من رجل عجوز ان المنزل قد أزيل تماماً لينشأ مكانه شققاً سكنية.

شعرت بعد ذلك بارهاق شديد، ودخلت إلى مقهى صغير لتتناول فنجاناً من الشاي. وبينما كانت تحدق بكآبة وضجر بعائلة تتألف من ستة أشخاص كانوا يلتهمون قطعاً من الكعك المحلى، تذكرت فجأة ان هناك اعتباراً ما لم تتوقف عنده لتعيد النظر فيه.

ماذا لو أنها كانت قد أسرعت في الحكم على ريتشارد؟ ماذا لو أن سيارته قد اصيبت بأي عطل ميكانيكي؟ ماذا لو أنه قد زلت به قدمه في هذا الطقس الممطر وكسر قدمه؟

وضعت إلف ملعقة كاملة من الملح في فنجان الشاي وأخذت تحركها وهي في حالة ذهول تام. لماذا لم تفكر بكل هذه الأشياء قبل الآن؟ فهي ليس من عادتها ان تقفز بسرعة ودون تفكير إلى النتائج من الأمور. قد يكون ريتشارد من النوع الثائر إلى درجة لا يتصورها العقل، لكنه لم يكن من النوع الذي يخلف بوعوده. فلو انه قد غير رأيه بشأن اللقاء معها، لكان أعلمها بذلك.

رشفت من فنجان الشاي كمية كبيرة ثم احست بغصة

رهيبة في حلقها وأسرعت تضع يدها على فمها بانزعاج وذهول تام.

سألتها نادلة وهي تبدي اهتماماً بها: «هل هناك ما يسيء، يا عزيزتي؟ هل أنت بخير؟»

قالت إلف لاهثة: «نعم، نعم، انني بخير، شكراً لك. أعتقد... اعتقد بأنني وضعت الملح بدلا من السكر في فنجان الشاي.»

قالت النادلة بطريقة، وكأن إلف من عادتها ان تضع الملح دائماً بدلاً من السكر في الشاي وبشكل روتيني: «آه، طبعاً يا عزيزتي. سوف أحضر لك فنجاناً آخر من الشاي.»

شربت إلف الفنجان الجديد من الشاي بسرعة، ثم خرجت إلى الشارع وكان الطقس ما زال ممطراً. نظرت إلى ساعة يدها ورأت عقاربها تشير إلى الرابعة من بعد الظهر، لا بد وأن أبواب شركة لاسلو ما زالت مشرعة للزبائن الكرام. قررت أن تستعمل القطار الذي يجري تحت الارض، فهناك محطة واحدة تفصل بينها وبين الشركة انها محطة بوند ستريت ومن هناك تتجه إلى الشركة وعندها ستأخذ الخبر اليقين من الموظفين هناك.

كانت تقف بعد مضي نصف ساعة من الوقت في الشارع الذي يقابل شركة لاسلو تنتظر اشارة المرور التي تجيز للمشاة التقدم، وعندما أضيئت اشارة المشاة الخضراء حاولت التقدم مع المتقدمين.

توقفت إلف عن تقدمها وقد استرعى انتباهها شعر أحمر لامرأة في الشارع المقابل.

أغمضت عينيها، ثم فتحتهما من جديد، وتاكد لها أنها

ليست تحلم، فهي ترى رجلاً وامرأة يدخلان مطعماً.

للمرأة شعر أحمر وتمشي بتمايل يثير الاشمئزاز في النفوس، وللرجل شعر أشقر متماوج ومنكبين عريضين تعرفهما إلف جيداً.

كانت ميراندا هي صاحبة الشعر الأحمر الذي تطاير بخفة على ذراع ريتشارد بينما كانت أصابع يده تضغطان برفق على مرفقها، وقد نظر إلى ميراندا بوجه معبر لم تدرك إلف فحواه من ذلك البعد. لكن ومن دون شك كانت ملامح السعادة تنعكس على وجه مرافقته ميراندا.

الفصل العاشر

تقدمت إلف خطوة إلى الأمام وعضت شفتها السفلى، بينما اختفى ريتشارد وميراندا داخل المطعم.

أحست بصدمة عنيفة وبجرح عميق في احاسيسها وبثورة عاصفة جعلتها ترتجف كورقة تتلاعب بها الرياح جيئة وذهابا. ماذا فعل بها ريتشارد؟ لماذا جعلها تنتظره بترقب وقلق عليه؟ وقد تهيأ لها انه اصيب بحادثة ما وطريح الفراش في أحد مستشفيات لندن، بينما كان يتجول في ارجاء لندن مع ميراندا غير آبه بمشاعرها وأحاسيسها تجاهه. وقد صدقته مرة حين قال لها انه لا ينسجم وصاحبة الشعر الأحمر، وصدقت اكاذيبه التي اعتقدتها بأنها مبادئه ومفاهيمه في هذه الحياة.

انها لن تسكت على هذا الأمر، وإذا كان ريتشارد يعتقد انه يستطيع الافلات من مخالبها، فإنه من المؤكد لا يعرفها حق المعرفة، ولا يعرف إلى أي مدى يصل بها انتقامها وثورتها عليه.

فكرت إلف، بينما كانت تعبر الطريق بين السيارات، بالرسالة التي تركها لها ريتشارد ليلة البارحة واحست بقلبها كأنه اصيب بعدة طعنات من خنجر.

استطاعت بأعجوبة ان تعبر الطريق بين صيحات السائقين من قلة انتباهها وطيشها، ولما وصلت إلى باب المطعم وقفت قليلاً لتأخذ نفساً عميقاً ولتشد من عزيمتها،

ثم دفعت الباب ودخلت إلى المكان الخافت الأضواء فشعرت وللوهلة الأولى ان فريستها قد اختفت، أخذت تلتفت يميناً وشمالاً تبحث بنظرها عن ذلك الشقي وسط الغرفة المزدحمة بالناس.

في البداية لم تستطع رؤية شيء من ظلمة المكان، لكن نظرها أخذ يتكيف شيئاً فشيئاً لترى أحد الأشخاص يتحرك في زاوية مظللة، وكان ذلك الشخص ريتشارد وقد عرفته من لون شعره.

كان وميراندا يجلسان مقابل بعضهما، أخذت إلف تحدق بدقة بريتشارد وهي ما زالت على حالها من الكآبة والثورة في آن، ولاحظت ان ريتشارد لم يكن يرمق عيني الحسناء بلهفة وشغف حسبما كانت تتوقع، لكنه كان يركز نظره على الكأس الذي بين يديه. اما ميراندا، فكانت تبتسم له بعذوبة شديدة وقد مالت نحوه فوق الطاولة بغنج ودلال.

سمعت إلف غريمتها تهمس، وقد اقتربت أكثر منهما: «ريتشارد، يا عزيزي...»

قالت إلف بعدما سحبت كرسياً وجلست بينهما: «نعم، انه عزيز فعلاً. كما انه أفعى وضفدع حقير، و...»

اقترح عليها ريتشارد مساعداً اياها: «وسحلية؟» ثم حول نظره عن الكأس إليها، بينما كانت إلف تحدق به مشدوهة.

شرح لها بطريقة ودية: «حاولت فقط ان اساعدك على ذكر زواحف أخرى.»

قالت بعنف: «اخرس.» ولم تبد اية محاولة لتحافظ على هدوء اعصابها. تساءلت كيف انه يجرؤ على التكلم معها

بتلك البرودة والاستخفاف بدلاً من ان يقدم اعتذاره لها عن تخلفه عن ذلك الموعد الذي اشار إليه في رسالته، حتى انه لم يظهر نوعاً من الأسف والندم، بل كان يستمتع بحنقها وثورتها. فأضافت قائلة ورأسها يميل بغضب: «على اية حال، اعتقد انه ليس عدلاً على الزواحف ان نقارنها بك.»

ذلك التحدي من إلف، ألهم ريتشارد ان يواصل اثارة غضبها وحنقها، فقال مضيفاً: «والبرمائيات. ان الضفادع نوع من انواع البرمائيات، على ما اعتقد.»

احست إلف بوجهها يشتعل غضباً، وبأنها ستصرخ عالياً إن لم تقم بمبادرة عنيفة.

تكلمت ميراندا بعد قليل وقد شعرت انه لم يعد في استطاعتها تجاهل الأمر اكثر من ذلك، فقالت: «في الحقيقة يا إلف، اعتقد ان...»

قاطعتها إلف حانقة وقد افقدها الغضب صوابها وتعقلها: «لا، لا يمكنك الاعتقاد أنت بالذات، لأن التفكير السليم ليس من خصائصك وليس لامثالك، الا في حالة واحدة، وذلك ان كنت تعتقدين ان رجاحة عقلك محصورة في...»

جاء صوت ريتشارد مثل دوي الرصاص: «إلف! توقفي عن حماقاتك، انني آسف لعدم تمكني من المجيء اليك في هذا الصباح، لكن كان لي عذري...»

قاطعته إلف قائلة: «طبعاً، لقد عرفت ما هو عذرك الآن.» وحولت نظرها إلى ميراندا ثم تابعت قائلة: «انها ميراندا بانينغتون.»

قست ملامح ريتشارد بينما كانت ميراندا تطلق نظرات تشبه طعنات الخناجر، وضغط ريتشارد بيديه الاثنتين على

الكرسي الذي يجلس عليه وكأنه يريد ان يمنع نفسه من ان يتمسك بكتفي إلف ويهزهما بعنف وقوة. لكنه رجل مثقف ومتحضر ومن غير الممكن ان يتصرف تصرفاً غبياً كهذا، بل يعالج الأمر بوعي وبهدوء اعصاب.

تمالكت إلف اعصابها ثم قالت: «إصغِ الي، يا ريتشارد.»

«لا، أنت التي سوف تصغين إلي، وتوقفي عن التظاهر وكأنك الزوجة المخدوعة. ان هذا الدور لا يليق بك، ودعيني اقول لك يا آنسة...»

عادت إلف تقاطعه من جديد قائلة: «لا، دعني أنا أقول لك.» وقفزت واقفة والغضب الشديد يعصف بها ووضعت راحتي يديها على الطاولة ومالت نحوه قائلة: «فأنا ولا بأية صورة من الصور سألعب دور الزوجة معك، مخدوعة كنت أو غير مخدوعة، وحتى ان كانت لي اية رغبة بالزواج، واشك بهذا الأمر كثيراً، فلن يكون وأعني تماماً ما اقوله، لن يكون منك مهما كانت الظروف.»

«نعم، ارى تماماً انه لن يكون.»

«عظيم، لربما قد يجعل منك هذا ان ترى الأمور بشكل أفضل.»

مدت ميراندا يدها في تلك الاثناء إلى كأسها، فاسرعت إلف تلتقطه قبل ان تصل يد ميراندا إليه، ورفعته إلى ما فوق كتفها، وبينما كانت تتساءل في مالو ترمي ما فيه في وجه ريتشارد أو تتوقف عن هذا العمل الطائش والغبي، اسرع ريتشارد ليمسك برسغها بقوة وليأخذه منها بيده الثانية ثم اعاده إلى ميراندا دون أن تسقط منه قطرة واحدة على الطاولة.

هال إلف ما كادت ان تقوم به من عمل أحمق ومعيب،

وأخذت تتمايل مرتعشة وكأنما اصابها دوار شديد في رأسها فتمسكت بكرسيها خوفاً من السقوط على الأرض، وعندما وقف ريتشارد وأخذ يتقدم نحوها، تراجعت هاربة منه قبل ان تعرف ما يريده منها. سمعت صوته يناديها عندما اقتربت من باب الخروج. لكنها لم ترد عليه بل اسرعت تخرج لاهثة من المكان واسندت جسدها إلى الحائط وهي تشعر بانهيار وضعف شديدين وقد حجب عنها الضباب اللندني الكثيف كل شيء أمامها.

نادى ريتشارد عليها بنبرة خشنة: «إلف.» حاولت الهروب منه لكنها لم تستطع وقد امسك بكتفها بيده القوية.

حاولت التملص منه لتبتعد، لكنها لم تجد إلى ذلك سبيلا ووجدت نفسها عالقة في قبضة يده الفولانية بينما كانت عيناه تنظران إليها بوميض مخيف. أخذ قلبها يخفق بشدة من هول ما قرأت فيهما، فقررت ان لا تقاومه اكثر من ذلك.

سألها: «ماذا تعنين من ذلك المشهد الملفت للنظر؟ لقد قلت لك انه كان هناك سبب لتغيبي عنك هذا الصباح... لا.»

قال لا عندما رأى إلف تحاول ان تفتح فمها معترضة: «ميراندا ليست السبب، كما انني حاولت ان اتصل بك.»

قاطعته إلف بوهن وضعف: «لقد انتظرتك طوال الصباح، ولكن...»

«اعرف، واعتذرت لك متأسفاً، ولن اكرر اعتذاري، المسألة هي...»

«لم يعد يهم ما قد تكون المسألة.» قالت إلف ذلك بارهاق مضني، وقد زال الغضب عنها وتأكد لها بعد ان انقشعت الغيوم السوداء عن ذهنها، انه لو لريتشارد فعلاً سبب

جوهري في التخلف بموعده معها، فإنها ستتقبل وبخنوع وبعد ان شاهدته بعينيها الاثنتين يرافق ميراندا، لقد بات الزواج بينهما مستحيلاً ومرفوضاً من اساسه. فهو لن يتمكن من ان يمنحها الشيء الأكثر اهمية ألا وهو الحب، وزواجها منه سيجعلها اكثر وحدة من أي وقت مضى، وسيكون ذلك فوق قدرتها وتحملها. فالذي رأته وشاهدته اليوم، كان تفسيراً واضحاً لما سيكون لها في زواجها منه.

عادت تقول: «هذا لا يهم. فإذا اردت القول انك لم تقصد اذلالي، انني اصدقك في ذلك. حتى انني اؤمن واثق انه لا يهمك امر ميراندا وانها لا تعني لك شيئاً لا من قريب ولا من بعيد، كما أن هناك سبباً وجيهاً لوجودك معها. آه، يا ريتشارد، اشعر بالأسف الشديد من تصرفي الأحمق تجاهك والذي دل عن قلة تفكير وتدبير مني. واقول لك انني مولعة ومغرمة بك وقد حصلت على الشرف الكبير يوم سألتني ان اكون زوجة لك، لكنني لا استطيع الزواج منك والأفضل لكلينا ان نفترق اليوم قبل غد، وزواجك مني ليس...»

«ليس ماذا؟»

أضافت بضعف ووهن: «ليس بفكرة سديدة.»

«بدأت اعتقد بأنك على حق.» كانت كلماته تلك قاسية كضرب السوط، فنظرت إليه مندهشة لعدم ابتعاده عنها بالرغم مما قاله وقد ظهر على محياه الجميل التصلب والقساوة.

تحرك شعور في داخلها غير الشعور بالألم والجرح، دافع قوي كي تحيط عنقه بذراعيها وتقول له احبك، احبك. لكنها وعندما نظرت في عينيه لم تجد شعورها متبادلاً بل اصطدمت بنظرات قاسية، ضاربة فتفتت فؤادها.

همست بألم: «وداعاً يا ريتشارد. حاول ان لا تصاب بعوارض البرد.» وجاء تحذيرها له بصوت خنقه العبرات ولم تدر ان كان قد سمعها أم لا.

تراجع عنها بضع خطوات إلى الوراء دون ان ينبس بكلمة واحدة، ودون ان يجيب على وداعها له، ودون ان يقبلها قبلة اخيرة، بل لازمه صمت رهيب كصمت الأموات.

رمت نظرة اخيرة على وجهه قبل ان تتحول وتبتعد عنه، فرأت وجهه هادئاً وقد خلا من اي تعبير يذكر. تمسكت جيداً بحقيبة يدها وأخذت تعدو في الشارع الطويل.

وقف ريتشارد في ذلك الوقت يراقب تراجع إلف تحت المطر وبقي على هذه الحالة لفترة طويلة، جامداً لا يتحرك إلى ان اختفت تماماً عن ناظريه.

عاد بعد ذلك إلى المطعم ودفع بابه بعنف وقد تذكر بأن إلف كانت دائماً تقاتله وتتشاجر معه سواء اكانت اخطاؤها لها مبرر أو لا.

توجه بخطوات واسعة نحو ميراندا التي كانت متجهمة الوجه، والتي حسبما اعتقد ريتشارد، تستعد هي الأخرى لمعركة حامية. فإن كانت على هذه الحال، من المرجح في ان تنالها.

تعثرت إلف بخطواتها بينما كانت تصعد الدرجات القليلة للبونافيستا وأخذت تعالج المفتاح في قفل الباب بيد مرتجفة ودموع غزيرة تنهمر من عينيها.

قال سبيناش، بينما كانت تعبر الفناء الذي يؤدي إلى غرفتها: «دجال.»

وافقت إلف: «دجال بالفعل.» فتحت باب غرفتها ثم اقفلته

بهدوء من ورائها. عندما اصبحت في غرفتها شعرت بانهيار والقت بجسدها إلى الحائط والهواجس والمخاوف من المستقبل القريب يعصفان في رأسها عصفا شديداً.

حدقت بالفراغ مفكرة بالعذاب الذي قررته وفرضته على نفسها، وخطر ببالها انه من السهل عليها جداً ان تغير رأيها وتقول لريتشارد انها كانت تقصد بكلامها...

لكن، لا. إن ارادت ان تتراجع عن قرارها الآن، فستعود إليها عند ذلك جميع امانيها. العذاب، وآلامها وشكوكها وتغرق بكآبة عميقة الغور. لقد آن الآوان لأن ترحل عن هذه الغرفة التي تذكرها بآلامها وجراحها، وتبدأ حياتها من جديد، لكنها لو بقيت فيها فستعيش على امل ان يعود ريتشارد ويتصل بها، وهي لا تريد ذلك ظاهرياً، لكنها تتمنى من اعماق نفسها لو انه يتصل بها، ولكن الشكوك كانت تعود إليها لتهزمها وتقضي عليها.

لا، لن تسمح بحدوث ذلك، اقتربت من السرير وسحبت حقيبتي سفرها من تحته.

شرحت بعد مضي ساعة من الوقت للسيد بوسبي وبتأسف شديد السبب الطارىء الذي جعلها تغادر البونافيستا قبل الوقت المحدد، وبدا من ناحيته مندهشاً ومتأسفاً لما آلت إليه ظروفها.

وقفت إلف في الشارع وهي تشعر باليأس والعزلة التامة وحولها حقيبتي سفرها. وتساءلت كيف وهي التي كانت على قدرة وافية في معالجة مشاكلها، قد اصبحت الآن تشعر بالوحدة والفراغ؟ غصت بألم وتذكرت ما افتعلته في المطعم بغباء وتهور شديدين منها، أديا إلى لفت الانظار

إليها، فهل كان هذا يجوز منها وهي التي كانت دائماً تعتز بكرامتها وكبريائها؟

مرت ثلاثة اسابيع منذ آخر مرة شاهدت فيها ريتشارد، وتساءلت إلف بينما كانت تحدق حولها في الغرفة الحقيرة، ان هذه الأسابيع الثلاثة كأنها العمر كله.

كانت في الأسابيع الثلاثة تلك، قد سافرت إلى سكوتلاند في رحلة سياحية وتنقلت بين العديد من الغرف الحقيرة والرخيصة، تماماً مثل هذه الغرفة وبنفس المستوى، لكن في لندن هذه المرة وقد عادت إليها لتوها من سكوتلاند، آلمها ان تعرف ان مسافة ليست ببعيدة تفصلها عن ريتشارد، هل كان يفكر فيها طوال تلك الفترة يا ترى؟

أخذت فأرة صغيرة تعدو برشاقة امامها واختفت وراء خزانة متداعية، يجب ان تسرع وتترك هذه الأحياء الموحشة والحقيرة، فاستقر رأيها اخيراً ان تقوم بنزهة سيراً على قدميها، فقد تنعشها هذه الخطوة وتمكنها من ان تنام هذه الليلة فتكسب عندها بضع ساعات من النوم ليلاً.

كانت إحدى أمسيات الصيف اللطيفة، عندما كانت إلف تمشي في الشوارع المزدحمة في طريقها إلى حدائق كنزنغتون وشعرت بانتعاش خفيف في نفسها، دخلت إحدى الحدائق ووقع نظرها على عاشقين يتهامسان. فمسحت إلف دمعة تدحرجت على خدها وقد شعرت بوحدة وشقاء أكثر من ذي قبل. لم تعد تطيق رؤية العاشقين أكثر من ذلك، فغيرت اتجاهها وأخذت تمشي بسرعة ثم اخطأت في اتخاذ منعطف وضلت طريقها، لكنها وبعد ذهاب وإياب متكرر، وجدت أخيراً الطريق الذي يؤدي إلى منطقة ماي

غير وتوقفت عندما وصلت إلى البيت رقم سبعة، حاولت ان تتذكر في ما لو انه كان الرقم الصحيح لمنزل ريتشارد، وتذكرت انه هو فعلاً، وكانت قد قرأت هذا الرقم على حقيبة يد ريتشارد. أخذت نفساً عميقاً، ورفعت يدها وضغطت على زر الجرس.

بدا لإلف انه قد مضى بعض الوقت قبل ان يفتح الباب لتظهر منه سيدة في منتصف العمر وذات فم واسع. ابتسمت لإلف ولم يبد عليها الدهشة من وجه الفتاة الشاحب واضطرابها الشديد.

بلعت إلف بريقها قائلة بصوت مخنوق: «أ... هل... هل هذا منزل السيد لاسلو؟»

اجابت السيدة مبتسمة: «نعم، انه كذلك. لكنه ليس موجوداً في الوقت الحاضر.»

تأوهت إلف وشعرت وكأن أحداً ما أعلن لها نهاية العالم.

شعرت السيدة بخيبة أمل إلف فقالت تضيف بسرعة: «لا اعتقد بأنه سيتأخر، لقد خرج ليقيّم بعض الحجارة الكريمة وقال انه لن يتأخر كثيراً، الا ترغبين في الدخول؟ أنا جاين. وسكرتيرة السيد لاسلو. لقد طلب مني ان أحضر كي أساعده في مهمته هذه، تفضلي واجلسي في الداخل.»

أرشدت إلف إلى غرفة ذات جدران مطلية باللون الأبيض فرشت بسجادة رمادية وأريكة جلدية سوداء، وطاولة من خشب الساج المتين مع كرسي من الجلد الفاخر، وقد علق على الحائط لوحتان زيتيتان باللونين الأسود والرمادي، مما ترك انطباعاً كئيباً وبارداً في نفس إلف.

سألت إلف: «هل بقية غرف هذا المنزل مثل هذه الغرفة؟»

«تقريباً، وقد اضيفت ألوان قليلة أخرى عليها. كانت على هذا النحو في أيام عمه، ولم يحاول السيد لاسلو ان يعدل بها أبداً. وحسبما اعتقد، ان هذا المكان يحتاج إلى لمسة من امرأة. كانت زوجته لا تقترب ابداً من هذا المكان، وتمضي اوقاتها دائماً في منزلهما الريفي، تهتم فقط بالخيل وبشوؤنها، ولكنه لم يتذمر مرة منها.»

قالت إلف: «لا، من المؤكد انه لم يتذمر من ذلك.»

جلست جاين على الكرسي التابع للطاولة ونظرت بخبث إلى وجه إلف الشاحب قائلة: «تعرفين السيد لاسلو جيداً، اليس كذلك؟»

«لا، ليس كثيراً.»

«حسناً. لكن اود ان اقول لك انه قد اصبح مدمناً على العمل مؤخراً، ومن دون توقف. هذا لا يعني انه لم يكن دقيقاً في عمله في السابق، انما في هذه الأيام انه يلتهم العمل مثل سمك القرش الجائع. واقول لك، إذا ثابر على هذا المنوال فسأترك العمل لديه وابحث لنفسي على عمل مريح أكثر.»

«آه، يا عزيزتي.» تأسفت إلف لحالتها متسائلة في ما لو ان سكرتيرة ريتشارد كانت دائماً على هذا النحو من الصراحة مع الضيوف.

علا رنين الهاتف في تلك الاثناء، فرفعت جاين السماعة واجابت: «نعم؟ آنسة كيلسي... ستكونين حرة يوم السبت... في الساعة السابعة مساءً... نعم، سأعلمه بذلك.» وأخذت جاين تقلب بعض الأوراق التي كانت على الطاولة، ثم قالت: «آه، لحظة من فضلك... ان السيد لاسلو سيتناول طعام العشاء مع السيدة كيتينغ مساء السبت.» وصمتت فجأة،

بينما تعالت كلمات تشبه دوي الرصاص من سماعة الهاتف، وعندما هدأ الصوت قالت جاين ببرودة شديدة لكن بأدب، «نعم، آنسة كيلسي، سأقول له ذلك.» واعادت سماعة الهاتف إلى مكانها ومسحت حاجبيها براحة يدها.

تمتمت إلف: «تبدو حياة السيد لاسلو الاجتماعية متعبة ومعقدة.»

«انني لا أعرف شيئاً عن حياته الاجتماعية، لكنني اؤكد لك بأنه ليس ناسكاً، إذا كان هذا ما تعنيه بكلامك. أما بالنسبة للآنسة كيلسي...» وزمت جاين بفمها لدرجة كبيرة كي تعطي لإلف انطباعاً بأنها تفضل السكوت عن الكلام المباح.

قالت إلف بينما كانت تحدق بقدميها: «فهمت.» وشعرت بعبء كبير يثقل على قلبها، ربما ارادت جاين ان تتحدث عن حياة ريتشارد الخاصة، لكن ليس من الضرورة ان تفعل ذلك، فالصورة واضحة لها بكل معانيها.

نظرت إلف إلى الساعة المربعة فوق الطاولة ووجدت انها تأخرت وان ريتشارد قد يعود في اية لحظة، لكن ما الذي دعاها للمجيء إلى منزله في المرتبة الأولى؟ وما الذي سيتغير في ذلك، فرؤيته من جديد ستحطم فؤادها مرة اخرى، وتضيف عليه تعاسة فوق أخرى، لذا من الأفضل لها ان تبقي الأمور على ما كانت عليه.

وقفت إلف ثم قالت: «يجب ان اذهب. شكراً لدعوتك لي، يا جاين، لكنني لا استطيع البقاء اكثر.»

«آه، لكنني على ثقة بأن السيد لاسلو يرغب في رؤيتك. آمل ان لا تكون مغادرتك السريعة بسبب شيء ما قلته...»

«لا، طبعاً. كما انه لا تربطني بريتشارد اية معرفة وثيقة،

وكنت قد قابلته مرة واحدة، هذا كل ما في الأمر، لكنني كنت امر صدفة في هذه المنطقة و...»

قالت جاين خجلة: «آه، فهمت. انه امر مؤسف، اعتقدت... ذلك لا يهم، لكنني اعرف تماماً بأنني اثرثر كثيراً عندما يفسح لي المجال بذلك، لكنني سأبلغه بأنك عرجت عليه، آنسة...؟»

قالت إلف وقد مالت برأسها قليلاً: «لا تتعبي نفسك. على ما اعتقد ان ذلك لن يثير اهتمامه. شكراً لك مرة اخرى، يا جاين.» انهت إلف كلامها ولم تنتظر لتسمع جواباً من جاين واسرعت بالخروج من المنزل بخطوات سريعة.

وصلت إلف إلى مكان سكنها في تلك الغرفة الحقيرة من ذلك الحي الموحش وهي تقول لنفسها ان ريتشارد رجل جذاب ومثير لكنه لا يؤمن بالعلاقات العميقة وبالاحاسيس المرهفة والمتبادلة. لكنه ليس بالرجل المتنسك! وما غير ذلك يمكنها ان تتوقعه إلف؟ اما بخصوص مزاجه العكر وانهماكه التام في عمله، فمن المؤكد انه ليس بسبب حبه وشوقه إليها.

حدقت بالسجادة البنية اللون التي بالكاد تغطي مساحة ارض الغرفة، وادركت ان ذهابها إلى منزله كان أمراً أحمق.

حجزت إلف في اليوم التالي تذكرة العودة إلى ديارها، وأمضت ثلاثة أيام وهي تشتري تذكارات جميلة لساندرا من العاصمة البريطانية، وقررت ان تمضي ليلتها الأخيرة في أحد فنادق لندن الفخمة قرب منطقة بيكاديللي.

قال لها موظف الاستعلامات عندما وصلت إلى الفندق، ان غرفتها لم تجهز بعد، لذا كان عليها ان تنتظر خلو الغرفة في قاعة الاستقبال الواسعة والفخمة. طال الانتظار بإلف

وشعرت ببعض التعب، فمدت ساقيها ووضعتهما فوق إحدى الحقيبتين ومن ثم اغمضت عينيها. لكنها وعندما فتحتهما بعد فترة قصيرة من الوقت، وجدت ان رجلاً قصير القامة وبملامح وجه تعذر عليها وصفها، كان يحدق بها من مكان ليس ببعيد منها، لم تعجبها نظراته، فوقفت ومشت نحو مكتب الاستعلامات من جديد.

«مساء الخير، يا آنسة.» اجفلت إلف ودارت بسرعة لتجد امامها مجموعة من الشبان كانوا قد دخلوا إلى الفندق بينما كانت تغمض عينيها منتظرة في قاعة الاستقبال. ووجدت نفسها في اللحظة التالية محاطة بفريق مرح ومتكامل من لاعبي كرة القدم ومن ضمنهم ذلك الذي توجه إليها بلطف بتحية المساء.

اجابت إلف: «مساء الخير.» وتناولت بسرعة مفتاح الغرفة الذي قدمه إليها موظف الاستعلامات.

ابتسم لها الشاب القوي البنية وسهل عليها عملية المرور من بين هذا الفريق الرياضي، وعندما تحررت منهم، توقفت قليلاً تسوي من شأن حقيبة ظهرها وبينما كانت تفعل ذلك، تسمرت يداها وقد هالها ما رأته امامها.

رأت رجلاً طويل القامة، اشقر الشعر يخطو خطوات واسعة من مدخل الفندق والبواب ينحني له احتراماً.

اطلقت لهاثاً مسموعاً وتراجعت بضع خطوات إلى الوراء بينما كان اللاعبون يبتسمون لها باستمرار، لكنها لم تلحظ ذلك عليهم، لأنها كانت تركز اهتمامها على ذلك الرجل الرائع والملفت للنظر.

التقت عيناه الخضراوان بعينيها، فتراجعت خطوة إلى

الوراء وهي لا تدري ماذا تقوم به، وتعلقت قدمها بمسكة حقيبة حمراء دفعت بصاحبها إلى السقوط على الأرض، بينما بقي كاحلها معلقاً بمسكة الحقيبة، لكن وعندما كانت تحاول ركلها لتحرر قدمها، دارت الحقيبة بسرعة وضربتها على ساقها لتجعلها تتعثر بخطواتها ذات اليمين وذات الشمال.

حاولت إلف ان تحافظ على توازنها، لكنها لم تتمكن من ذلك وسقطت على الأرض سقطة قوية سببت لها دواراً شديداً في رأسها وصعوبة في الرؤية، ولم تعد تميز أحداً أو شيئاً في ذلك المكان الفسيح.

الفصل الحادي عشر

عندما استعادت إلف بعضاً من وعيها وتوضحت الرؤية لها، رأت فريق لاعبي كرة القدم يتحلقون حولها، فقالت لهم: «اعتقد بأنني سأعيش.»

ضحك أحد اللاعبين، وأدركت انها ملقاة على الأرض وجميع من حولها قلق ومتلهف عليها. لا بد وان يكون ريتشارد هنا وفي أي مكان، لكن ذلك غير معقول، لا بد انها كانت تحلم من كثرة التفكير به.

جاء صوت ساخر ومألوف لديها: «عمل رائع، يا حبيبتي إلف. تهاني القلبية لك، فوقوعك على الأرض وعلى وجهك بالتحديد، شدّ حولك جمهور كبير لا يحلم به أقدر فنان معروف.»

قالت إلف في نفسها هذا صوت ريتشارد، حرّكت رأسها بألم وأخذت تحوّل نظراتها بين الملتفين حولها، فتفرق الجمهور القلق مفسحين المجال لريتشارد بالتقدم نحوها. اقترب ريتشارد وانحنى فوقها، فتذكرت وبغموض تام ان الرجل الذي كان يدخل إلى الفندق، كان ريتشارد بالفعل وبسببه زلت قدمها وسقطت بعد ذلك على الأرض. كعادتها مدت يدها لتتناول شيئاً تقذفه به، لكنها طبعاً لم تجد أي شيء، لذا أسرعت تقول له بحدة وحنق في انها لم تسقط على وجهها وأي غبي في هذا المكان يمكنه أن يشهد على ذلك.

كانت تريد أن تقول له، أحبك، فارجوك لا تتركني مرة

www.elromancia.com

أخرى، لكنها لم تستطع ولم تقو شفتاها على التلفظ بمثل هذا الكلام.

قال ريتشارد مذعناً: «أعرف. بل انك سقطت منبسطة وعلى ظهرك، لكن ببراعة وذوق...»

«ذوق؟» أنّت إلف وتمنّت لو انها لم تكن تشعر بالضعف وبذلك الدوار لتتمكن من التركيز أكثر على إجابة مناسبة له، فتابعت دون وعي وادراك منها: «من المؤكد انك لا تعرف معنى هذه الكلمة.»

«صحيح؟» قال ريتشارد ذلك وقد أظهر متعة في ان يجسّ صدغها الأيمن.

توجعت إلف ومدت يدها لتلمس مكان الصدمة على صدغها وقد برزت بعض الشيء.

«أدركت انك ستتوجعين، كما انني أعتقد بأنه ينبغي منك أن تكوني في السرير الآن إلى أن نتأكد من انك غير مصابة بارتجاج في المخ.» قال ذلك ثم حملها بين ذراعيه.

سألها أحد لاعبي كرة القدم ووجه نظرة مشاكسة لريتشارد: «هل أنت بخير، أيتها الآنسة؟»

قالت إلف: «نعم، انني بخير.»

كانت إلف تشعر بأنها على أحسن ما يرام، كيف لا وهي بين أحضان ريتشارد الحبيب تتحول كل آلامها وأوجاعها إلى سعادة ونشاط وانتعاش، وكأنها في حلم رائع لا تريد أن تصحو منه أبداً.

نظر إليهما بدهشة وذهول بعض الأشخاص الذين كانوا يخرجون من المصعد، فدخل ريتشارد وهو لا يلوي على شيء، ثم ضغط على الزر.

تمتمت إلف: «أعتقد انهم ظنوا انك تخطفني.»

قال ريتشارد محذراً: «هذا ما أفعله تماماً، وإذا عدت تسببين لي مشاكل أخرى، فسأقفل باب غرفتك بالمفتاح وأرميه بعيداً.»

«لكن...»

«انني أعني ما أقوله. لقد كدت تؤدين بي إلى الجنون، يا إلف ماكبيس، لكن إذ اؤكد لك انني سأجد الطريقة المناسبة لاوقفك بها عند حدك.»

صدقت إلف كلامه وآمنت به عندما مال برأسه نحوها وكأنه يحاول تقبيلها، وتهيأ لها انها لو كانت واقفة في تلك الاثناء لكانت سقطت على الأرض مغشياً عليها. وتشبثت بعنقه لا تريد الافلات منه وقد تأكد لها انه ملاذها وحبها الوحيد ومن دونه ستغرق في لجج من اليأس والكآبة قد يرافقانها إلى القبر.

فتح باب المصعد ليكشف على اشخاص آخرين أخذوا ينظرون إليهما باستغراب شديد وباستنكار تام.

تمتمت إلف: «أعتقد ان سمعتي ستتلطخ بسببك.»

«هذا مؤسف جداً.» قال ريتشارد ذلك ثم سحب مفتاح الغرفة من يدها. فتح الباب ودخل بها إلى غرفة واسعة بسرير مزدوج ومقعدين مريحين.

«أرى ان هذا الأمر قد أصبح عادة لا مفر منها.» قال وهو يتقدم بها ليضعها على السرير، ثم أخذ ينزع عنها حذاءها.

سألته: «ما الذي قد أصبح عادة؟»

«ان أضعك في السرير دائماً، ومع ذلك لم يعد عليّ الأمر ولا بأية فائدة تذكر.»

سألته إلف: «عن أي فائدة تتكلم؟»

بدا غير مبالٍ، لكنها وعندما لمحت الطريقة التي كان ينظر بها إليها، أدركت ما نوع الفائدة التي كان يتكلم عنها.

جلس على حافة السرير بطريقة كأنه يملك الحق الكامل في ذلك، لكنه ابعد رأسه فجأة عنها وهو لا يقوى على النظر إليها أكثر، فنظرت إلف إلى صورة وجهه الجانبية وهالها ما شاهدته، لقد بدا أكبر سناً منذ آخر مرة شاهدته فيها، ووجهه واهٍ وضعيف وكأنه كان يعاني من مرض ما.

توجهت إليه قائلة: «ريتشارد، لماذا أنت هنا؟»

بدت الكلمات التي طرحت بها سؤالها مألوفة لديها، وهزّت رأسها الضعيف تحاول ان تتذكر أين ومتى نطقت بمثلها. وبعد محاولة يائسة من التفكير، تذكرت انها استعملتها في ذلك المحل الذي يبيع التذكارات وها هو التاريخ يعيد نفسه مرة اخرى. لكن ما بالها تعيد طرح السؤال ذاته عليه وهي التي تشعر بسعادة لا توصف من رؤيته مجدداً؟ أنبت نفسها من سخافتها وحماقتها، فقبل ان تغرق في تلك السعادة وتنجرف فيها، يجب ان تحل المشكلة التي دفعتها إلى الهروب منه أولا.

عادت تكرّر عليه سؤالها: «ما الذي تفعله هنا؟»

«في الوقت الحاضر، أريد أن ألطف من الحرارة على جبينك.» ومدّ يده وأخذ يمسح برقة جبينها.

قالت إلف معترضة: «انني لا أشعر بأية حرارة الآن. أو حتى برجة في المخ.» ثم دفعت يده بعيداً عن جبينها لتجلس على السرير ثم كررت سؤالها: «الذي اقصده، ما هو الشيء الذي دفعك لتأتي إلى هذا الفندق من بين جميع الفنادق الأخرى؟»

قال متجهماً: «أنت التي دفعتني إلى المجيء إلى هذا الفندق. ولقد تركتك تهربين مني ذلك اليوم لأنني كنت في حالة غضب شديد وأدركت انه من الأرجح ان أقوم بشيء قد نندم عليه معاً لو انني لحقت بك. لكنني وعندما ذهبت إلى البونافيستا في اليوم التالي ولأسوي ما بيننا من خلافات وجدت أنك...»

قاطعته إلف بصوت ضعيف: «وجدت أنني قد رحلت.»

«تماماً. قال لي السيد بوسبي انه يعتقد بأنك عدت إلى ديارك، وازعجني ذلك كثيراً ولم يحسن من مزاجي العكر. كنت مرتبطاً في ذلك الوقت بمشاغل عدة تستغرق بضعة اسابيع من العمل المتواصل والشاق لم يمكني من التفتيش عنك واستعادتك إلي.»

«تستعيدني إليك؟»

«نعم هذا ما قلته. حسناً يا إلف، لقد مضى عليّ وقت طويل لأدرك... هل كنت تعتقدين فعلاً انني سأتخلى عنك بهذه السهولة؟»

«أ... نعم، هذا ما كنت أعتقده بالفعل.»

«حسناً، لقد أخطأت في التقدير إذاً. لكنني لم استطع السفر اليك في الحال لارتباطي بأعمال لا بد من تنفيذها. بعد ذلك، أخبرتني جاين ان سيدة جاءت تسأل عني، وعرفت من الأوصاف التي أعطتني إياها انك أنت المعنية. وعندها تأكدت انك ما زلت في لندن. لم يطل الأمر برجالي في اقتفاء أثرك ومعرفة مكان وجودك. ان الذي ساعدهم في عملية البحث عنك صورة لك، تلك التي التقطت لك خطأ عند المجاز الذي يؤدي إلى السفينة، واتصلوا بي بعد ذلك ليبلغوني بأنهم عثروا عليك.»

«تعني أنك جعلت رجالك يلحقون بي ويقتفون أثري؟» وتذكرت ذلك الرجل الذي وجدته يحدق فيها في قاعة الاستقبال في الفندق. «تعني ذلك الرجل القصير القامة والمروّع؟»

«مهما يكن، فقد وفّر عليّ مشقات كثيرة. وعندما دخلت الفندق لأرى لاعبي كرة القدم يتحلقون حول امرأة لم أميز منها سوى شعرها البني الأجعد، قلت لنفسي من المؤكد ان هذه السيدة لم تكن سوى أنت وكنت قد رأيتك في حالات مماثلة قبل الآن.»

حاولت إلف أن تسدُد ضربة على صدره، لكنه التقط يدها بسرعة واعادها إلى جانبها، وقال بلهجة محذرة: «لا، لا تفعلي ذلك، ايتها النرجسة الصفراء. لقد اكتفيت تماماً من سخافاتك التي لا معنى لها.»

بدأت إلف تقول: «توقف عن...» لكنه لم يدعها تكمل جملتها لأنه مال نحوها وقبلها.

قالت متمتمة: «ميراندا» نطقت إلف باسم ميراندا لكنها لم تكن تعني بذلك اثارة هذا الموضوع، بل كانت تودّ ان تقول وتشرح له أشياء لا تقوى بالفعل على البوح بها. وقد جاءت على ذكر ميراندا الآن بدافع من الغيرة لا أكثر، فهي تعلم ومتأكدة انها لا تشكل أي خطر عليها.

قام ريتشارد عن السرير كمن لسعته أفعى. ثم قال بحدة وعنف وقد أدار لها ظهره: «ماذا بشأن ميراندا؟ انك تعرفين جيداً كيف تفسدين أجمل اللحظات الواعدة.»

لاحظت أن اليدين اللتين كانتا منذ برهة قصيرة تلاطفانها بمودة وحنان، قد تحولتا إلى قبضتين تشبهان

قبضتي الملاكم. قالت بعد ذلك: «بالنسبة للحديث عن اللحظات الواعدة، دعني أقول لك انني لا أرى شيئاً من هذا القبيل...»

استدار ريتشارد لينظر إليها نظرات أبدت الفضول والتساؤل معاً ثم قال بنبرة خطرة: «إلف، لماذا كل هذا التركيز على ميراندا؟ الم تتحققي بعد من صدق نواياي ومن انني على مقدرة واسعة في أن أميز ما بين حسناء لعوب تبحث عن الذهب وتثير المشاكل مثل ميراندا بانينغتون، وبين امرأة مغيظة، ومحيرة ومتلبدة الذهن أحياناً، لكن في جوهرها سميحة النفس واسعة الفؤاد، وتدعى إلفرايد ماكبيس؟»

بلعت إلف بريقها قائلة: «نعم امنحك ثقتي بذلك، وقد صدقتك عندما قلت لي انه كان لك سبباً في تخلفك عن ذلك الموعد. لكن ومع ذلك، لم يعد يهمني ان كان هناك سبب أو لم يكن، لانك لم... ولأنني لم اعتقد ان...» ولم تستطع إلف اتمام قولها.

قال ريتشارد بصوت خفيض: «لم تعتقدي بأنني أحبك.»

قالت بيأس وحزن: «نعم. كنت اعرف منذ وقت طويل انك لا تحبني.»

ابتسم ريتشارد ومد يده ليمسح بها شعرها الاجعد ثم قال: «كنت على حق، بالطبع، فانا لم اكن احبك، لكن مشاعري تبدلت منذ اللحظة التي سمعت فيها صوتك العذب ينساب إلى اذني وانت تقولين في ذلك اليوم وفي مرفأ نيويورك، سفلة. خامرني شعور ان حياتي سوف تتبدل ولن تبقى على حالها من العزلة والشرود، شعرت وكأن أحداً يركلني ويدفعني اليك.»

قالت معلقة على قوله: «أتعلم، كنت ارغب دائماً في ان اركلك.»

«من الطبيعي جداً ان تشعري كذلك.» قال ذلك ووضع يديه في جيبي سرواله ثم تراجع قليلاً إلى الوراء. تأملته إلف بحب وشوق كبيرين ولم تجده واعداً ومهدداً كعادته، بل هادئاً ومتفهماً، وفوق كل ذلك يحبها ويريدها بكل جارحة من جوارحه.

قالت ببطء وتردد: «ريتشارد. أعرف انك تريدني وتحبني، لكن...»

تقدم خطوة إلى الأمام قائلاً: «لكن ماذا، يا إلف؟ لماذا يوجد دائماً كلمة لكن في قاموسك؟ اللعنة... حسناً، انك تعنين ميراندا، اليس كذلك؟ ألا تستطعين الادراك والفهم بأنها لا تعني لي شيئاً على الاطلاق؟»

هزت إلف رأسها تنفي قوله ثم قالت: «لا، ليس كما تظن، مع ذلك من المستحيل الانكار بأنك تخلفت عني بسببها.»

أسرع ريتشارد يقول: «لم اتخل عنك بسببها، وربما قد تاه عن ذهنك بأنني كنت قد طلبت الزواج منك. على أية حال، يجب ان تتأكدي من انه ليس من شيمي واخلاقي ان انتقل بين النساء وعلى هواي.»

وضعت إلف يدها على صدغها المصاب وقد شعرت به ينبض من جديد وبقوة، ثم قالت: «لا اشك ابداً في ذلك، لكن...»

تأوه ريتشارد قائلاً: «عدت من جديد لاستعمال كلمة لكن. حسناً يا عزيزتي، اعتقد انه آن الآوان لأوضح بعض الأمور. أولا انني لم اخلف بموعدي معك، والذي جرى ان سيارتي

الرولز اصطدمت بسيارة أخرى يقودها واحد من ابناء وطنك والخطأ كان يعود إليه، لأنه كان يقود سيارته من الجهة اليمنى للطريق تماماً كما يفعل في وطنه، فكانت النتيجة أننا بدأنا نتشاجر مع بعضنا وكان ذلك قرب حديقة هايد بارك. لكن لحسن الحظ ان الأضرار لم تكن فادحة في السيارتين واستطعنا تسوية الأمور أخيراً في ما بيننا. وعندما تابعت طريقي إلى تلك المرأة التي اريد الزواج منها، وجدت انها قد اختفت تماماً. عدت عندها إلى منزلي وانا اشعر بالخيبة والتعاسة وبأنني سأمضي هذا اليوم من دونك إلى جانبي.»

تأوهت إلف وقد شعرت ببعض الذنب تجاهه.

ابتسم لها ابتسامة لم تبعث الهدوء إلى نفسها، ثم تابع قائلاً: «لكني لم ارد من ذلك الشعور الكئيب في ان يتملك مني، وقررت ان اشغل نفسي بالعمل، اما جاين ولتثبت بأنها تنين لا يرحم، سمحت للآنسة بانينغتون بالدخول إلى مكتبي.»

«تعني انك لم تكن تتوقع حضورها؟»

«لو كان هذا صحيحاً، لما كنت وجدتني في مكتبي احاول ان اشغل نفسي بالعمل. وبما انه كان ما كان، قررت ان اتصرف بطريقة متحضرة وان ادعوها لتناول شيء ما نشربه قبل ان اخرجها نهائياً من حياتي. بدأت أشرح لها بأدب انها لا تعني لي شيئاً إلى ان تقدمت أنت وأخذت تصفينني بكل انواع الزواحف الموجودة في الكتب ومن ثم تواريت واختفيت تماماً من حياتي.»

قالت إلف بصدق ومن صميم قلبها: «آسفة جداً.»

«ارجو ان تكوني فعلاً في حالة ندم، والآن يا آنسة ماكبيس، لا اريد ان اسمع منك كلمة واحدة حول ميراندا، لأن هناك امرأة أهم منها بكثير للتباحث بأمرها.»

سألت إلف بشك واضح: «من تكون هذه المرأة؟»

«سيدة معينة تدعى الفرايد، والتي كانت تحاول منذ اسابيع عدة دفعي لارتكاب جريمة ما... من اين جئت بتلك الفكرة السخيفة بأنني لا احبك؟»

«منك انت، لقد جئت بها منك أنت شخصياً ذلك عندما قلت لي انك بحاجة إلى زوجة لطيفة غير فضولية، لكن لوالدتك.»

«ماذا؟» رفع ريتشارد يده في حركة لا شعورية وكأنه يريد ان يضرب أحد ما. لكنه وعندما رأى الخوف يستبد بإلف، انزل يده بهدوء وأخذ يداعب خصلات شعرها الأجعد: «اعتقد انني قلت ذلك.»

«نعم، لقد قلت ذلك بالفعل، وقد دفعتني إلى الجنون المطلق منذ عدة اسابيع.»

قال ريتشارد محدقاً بها: «عظيم.» وأخذ التوتر يتلاشى تدريجياً عن ملامح وجهه، بينما مال نحوها بعينين تومضان وميضاً غريباً.

بلعت إلف بريقها وكأنها فهمت ما يريد ان يقوم به، لكنه وبدلاً من ان يقوم بما اعتقدته إلف، عاد يجلس قربها على السرير ليأخذها بين ذراعيه.

قالت إلف وقد اصطدم مرفقه بصدغها المتورم: «آخ.»

اسرع يقول: «ارجوك، ان تنتبهي من الآن فصاعداً على الوجه المفضل لدي، فأنا لا اريد ان اراه مثل حبات العنب.»

«هل ان وجهي هو المفضل لديك؟»

«هل تشكين بقولي؟ فأنا لا استطيع ان اتصور وجهاً آخر غير وجهك حين اتناول افطار الصباح في كل يوم.»

نهضت من السرير لتجلس قربه تماماً وسألته بحذر: «كل صباح جديد؟»

«هذا ما قلته تماماً.» واحاط كتفيها بذراعيه ثم جذبها بنحوه قائلاً: «احبك، أحبك يا إلف. هل تتزوجين مني؟ كنت قد طلبت منك ذلك لأربع مرات متوالية.»

سمعت كلماته يتفوه بها بهدوء وباخلاص صادق، كلمات كانت تدرك انه لم يتوقع هو بالذات ان يقولها. نظرت إلى عينيه الخضراوين لتقرأ فيهما الحب والعطف العميقين اللذين اعتقدت انها لن تقرأها ابداً، وشعرت بالسلام يغمر روحها فهي لن تعود وحيدة بعد اليوم.

قالت بلطف وعذوبة: «نعم سأتزوج منك. كنت على اهبة الاستعداد لأقول لك نعم أنا موافقة على الزواج منك في ذلك اليوم الذي اصطدمت سيارتك الرولز بسيارة الرانج، مع انني كنت اعرف انك لا تحبني، لكنني فكرت ان الوقت قد...» واغمضت عينيها متابعة قولها: «وفي النهاية غيرت رأيي.»

سألها بطريقة جافة: «لماذا؟»

«لأنني اعتقدت انه لن اتحمل فكرة الزواج منك إذا كنت لا تبادلني الحب. اتضح لي في النهاية انك عاجز عن ان تهبني قلبك وتحبني كما احببتك، واظهرت بدلاً من ذلك ميولاً لأهداف اخرى. وعندما التقيت بجاين اخبرتني انك لست ناسكاً، ومن ثم اتصلت الآنسة كيلسي واخرى تدعى السيدة كيتينغ.»

قال ريتشارد وهو يضع يده على فمها لاسكاتها: «إلف. اخرسي.»

خرست إلف بينما حضنها الرجل الذي تحبه بلطف.

قال ريتشارد: «هكذا أفضل. لنبدأ الآن القصة من اولها. اولا ولكي نجعل الأشياء واضحة في ما بيننا، فعندما انوي الزواج، اتزوج فقط بالطريقة التي تناسبني، وليس بالطريقة التي تناسب والدتي، واعرف جيداً بأنها ستحبك كثيراً. ثانياً ان الآنسة كيلسي والسيدة كيتينغ لا يربطني بهما شيء غير العمل، فهما تصممان الأزياء واحياناً يستعينان بالجواهر التي أملكها من أجل حفلات العرض التي تقيمانها. ثالثاً، إذا كانت جاين قد قالت لك انني لم أكن اعيش عيشة ناسك، اتصور ان الذي كانت تعنيه من وراء ذلك، هو انني لم اتخلَّ عن أحد من اصدقائي، وهذا لا يعني انني تقمصت شخصية دون جوان.»

أراحت إلف رأسها على صدره قائلة: «لكنك لم تقل لي مرة انك تحبني.»

ابتعد ريتشارد عنها قليلاً وقال: «تباً لك يا إلف. لم أستطع ان أقول لك هذا، لأنني لم أكن مستعد بعد، حتى ولو كنت مستعداً، فأنا أعرف تماماً انني عنيد وغبي ولا أريد ان اتقبل الأمر بتلك السرعة، خاصة وأنه لم يمر سوى أحد عشر شهراً على وفاة فيليستي.» ومسح العرق الذي تصبب على جبينه ثم وقف مديراً لها ظهره: «ارجو ان تتفهمي مني هذا يا إلف، فقد كنت متزوجاً لمدة تسع سنوات من امرأة لم تحبني، حتى انها لم تتظاهر بحبها لي، حاولت وآملت كثيراً. لا اعني أن اللوم يقع على فيليستي وحدها، ربما كان ينبغي مني ان احاول أكثر معها، لكنها تحولت كلياً إلى الاهتمام بالخيل وبشؤونها. كما انها لم تعد تهتم ولا بأي

رجل. صحيح انني أجيد ركوب الخيل، لكنني لم أكن مهووساً بها مثلما كانت هي، لم تكن فيليستي تحتمل أي شيء اقل من...»

همست إلف: «ريتشارد. ما الذي تحاول قوله؟»

مشى نحو النافذة ووضع يده عند حافتها، ثم أخذ يحدق بالشارع قائلاً: «اعني عندما ادركت بأنني ارغب بالزواج منك من أجل اسباب ليست وكما قلت لك ذات مرة انني ابحث عن زواج يتوافق ومزاجي.»

قاطعته إلف بلطف: «ومتى كان ذلك؟»

«أولاً عندما شب الحريق في إحدى محركات السفينة، وكان أول ما فكرت به هو أنت وكيف تشعرين ازاء ذلك، وثانياً عندما هددك السيد بوسبي بالطرد لأنك كنت مريضة وتتصرفين بشكل غير لائق. ولم أستطع ان أقول انني أحبك، يا إلف، لأنني لم أكن متأكداً بعد من نفسي وأنك أيضاً قد تبادليني الحب، فقد طعنت مرة في صميم قلبي وتألمت من ذلك عندما اعلنت حبي لفيليستي وبادلتني ذلك الحب بالتجاهل التام. عند ذلك توقفت عن التفكير في الحب واعتقدت فعلاً انه غير موجود سوى في الروايات العاطفية.»

قالت إلف بلطف: «يا لريتشارد المسكين.»

«مسكين؟ لم أشعر قط بذلك يا إلف. فهمت بعد ذلك انني كنت مخطئاً في تقديري خاصة عندما وافقت وتقبلت من جيري ملاحظة غير سارة عن تصرفي الشاذ معك و...»

قاطعته إلف: «امنحني فرصة أخرى.»

دار بسرعة ليواجهها تماماً وقال بلطف: «حسناً.»

هزت رأسها بمرح وقد ادركت ان ريتشارد يمازحها الآن ولا يسخر منها. قالت له مبتسمة: «لا أفهم كيف يستمر الزواج بين شخصين طوال تلك المدة، وهما لا يؤمنان بوجود الحب.»

قطب جبينه قائلاً: «اعتقد ان سبب استمرار هذا الزواج، ان فيليستي كانت سعيدة بحياتها وبالهواية التي اختارتها، واقنعت نفسي انا ايضاً بانني سعيد مثلها. لكن عندما توفيت احسست بفراغ كبير، أكثر مما كنت اتصوره، لكن وعلى أية حال، فبعد كل تلك السنوات عدت والتقيت بك مجدداً.»

صرخت إلف ومدت ذراعيها له قائلة: «آه يا ريتشارد. اعتقد بأنني احببتك منذ كنت طفلة صغيرة، لكنني لم اكن افهم بتلك الأمور خاصة في ذلك السن. وكنت تحتاج لسماع كلمة احبك بقدر حاجتي إليها ايضاً.»

«لو كنت اعرف كيف تستعمل هذه الكلمة وانا في ذلك العمر لما كنت ترددت لحظة واحدة عن قولها لك.» وتقدم منها بخطوات واسعة وأوقفها على قدميها، ثم قبلها قبلة مسحت كل أثام الماضي.

قالت له إلف بعد ذلك متألمة: «آخ.» ابعدها ريتشارد عنه وجلس على أحد المقعدين في الغرفة ثم هز رأسه متألماً: «كيف سيمكنني الزواج من امرأة تقول آخ في كل مرة احاول تقبيلها؟»

سألت إلف مستهزئة: «هل غيرت رأيك؟»

«طبعاً لا، وكيف اتمنع عن الزواج من سيدة تذكرني دوماً بطفولتي البائسة معها، وأحياناً يصيبها الغثيان، وتناديني بالضفدع أو بأي نوع من الزواحف الأخرى،

كما انها بحاجة دائماً لمن يضعها في السرير بانتظام وتقول آخ؟»

مدت ذراعيها نحوه فجذبها إليه ثم قالت له: «لن أقول لك آخ، إذا حاولت مرة اخرى، صدقني.»

تنهد ريتشارد وأخذ يتأمل وجهها والسعادة تشع من عينيه ثم قبلها بلطف وبقلب يلتهب شوقاً إليها.

قال لها بعد ذلك: «لقد كان يوماً شاقاً ومتعباً بالنسبة اليك، وهذه الكدمة على صدغك تقلقني، فيجب ان ترتاحي الآن وان تخلدي إلى النوم.»

قالت إلف متوسلة: «لا، لا أريد ان أنام.»

«إذا بقيت على هذه الحال من العناد، فسوف اصب على رأسك ماءً بارداً، لذا كوني عاقلة وحاولي ان تأخذي قسطاً من الراحة. ومن ثم ستكونين بحاجة إلى بعض الطعام، وبعد كل ذلك سنرى ماذا سيكون.»

«لا يمكنني.»

«بل يمكنك.» وساعدها لتستلقي على السرير.

كان محقاً في حاجتها إلى ذلك القسط من الراحة لأنها سرعان ما غرقت في نوم عميق.

عندما استفاقت من نومها، كان ضوء النهار يتلاشى في الخارج وغرقت الغرفة بالعتمة، ولاحظت وروداً صفراء اللون إلى جانب سريرها.

فتح باب الحمام فجأة وخرج ريتشارد منه وهو يجفف شعره بمنشفة. ابتسم لها وجلس على المقعد قائلاً: «من الواضح انك اصبحت احسن حالاً من ذي قبل.»

«من جاء بتلك الورود؟»

«لقد ارسلت في طلبها، هل تحبين الورود، ايتها النرجسة الصفراء؟»

«بل اعشقها.» تناولت إلف المزهرية ودفنت رأسها تستنشق عبيرها العطر. «شكراً لك، فالورد افضل شيء لدي.»

قال ريتشارد متنهداً: «إذاً الورد أفضل شيء لديك. وأنا الذي كنت أظن بأنني الأفضل بالنسبة إليك.»

قالت إلف مبتسمة: «لم أعنِ انها الأفضل على وجه تام. آه يا ريتشارد، كنت اشعر دائماً بالوحدة، وآمنت بأنني سأبقى دوماً على هذه الحال، اما الآن، انني... انني في غاية السعادة، اشعر وكأنني... آه، لا اعرف في الحقيقة بماذا اشعر.» ولوّحت له بالمزهرية ثم قالت: «مثل...»

قال ما لم تستطع قوله بينما سقطت إحدى الوردات الصفراء على وجهه: «مثل الورود.»

عادت إلف تلوّح بالمزهرية من جديد، فأمسك ريتشارد برسغها قائلاً: «حسناً يا إلف. فإذا كانت زوجتي لا تحمل المزهرية دون ان تحولها إلى حطام... لن استطيع الانتظار لمعرفة المفاجآت التالية التي ستقذفينني بها.»

قالت إلف وقد شدّت المزهرية إلى صدرها: «في استطاعتي ان احمل هذه المزهرية جيداً. كما انني أيضاً لن أستطيع الانتظار.»

ضحك ريتشارد، ثم مال نحوها وابعد المزهرية عنها ليحملها بين ذراعيه.

قالت ضاحكة: «انزلني حالاً. يا ريتشارد.»

انزلها إلى الأرض قائلاً: «احبك يا إلف.»

«أحبك أيضاً. آخ!»

ابعدها ريتشارد وأخذ يتمتم بكلمات غير واضحة، ثم قال: «سأكف عن ذلك، صحيح انني أحبك يا حبيبتي الغالية، انما من المستحيل ان امضي بقية عمري مع زوجة ليس على لسانها سوى كلمة آخ.»

أجابت إلف بصوت حزين: «لقد دست على وردة. يظهر انها سقطت من المزهرية دون انتباه مني.»

انحنى ريتشارد ليلتقط الوردة فأخذتها من يده وارجعتها إلى رفيقاتها في المزهرية بعناية واهتمام.

تمتم ريتشارد بكلام لم تستطع ادراكه، ثم جذبها نحوه وعيناه تشعان حباً وشوقاً إليها.

قال محذراً: «لا تحاولي ان تقولي آخ هذه المرة.»

لم تقل إلف شيئاً، كذلك ريتشارد. ومضى عليهما وقتاً طويلاً قبل أن يقول أحدهما للآخر كلمة واحدة أخرى.

تمـــــت